

شرح

الواجبات المستحبات المعرفية

على كل مسلم ومسلمة

جمع الشيخ

عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

شرحه

أبو عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي



شرح

الواجبات المحتببات المعرفية

على كل مسلم ومسلمة

الواجبات المحتببات المعرفية

شرح

الواجبات المتحتمات المعروفة

على كل مسلم ومسلمة

جمع الشيخ

عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

شرحه

أبو عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

اسم الكتاب : شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة .
اسم المؤلف : عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي .
اسم الشارح : أبو عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي .
مقاس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم .
عدد الصفحات : (١٨١ صفحة) .
رقم الطبعة : الأولى - ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م .
رقم الإيداع : (٢٠٢٢م) الهيئة العامة للكتاب - عدن .
الناشر : دار العلم النافع - اليمن - محافظة الضالع .
التنسيق والإخراج : كيوفور للطباعة والنشر

<https://bit.ly/3mMAJb3>



اليمن - محافظة الضالع
جوار دار الحديث السلفية

+٩٦٧ ٧٣٧ ٨٥٠ ٧٨٣ - +٩٦٧ ٧٧٧ ٨٢٧ ٥٣٢

Email: amarhedyain@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ إِلَّا بِحَمْدِهِ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فقد اعتنى العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ، لما فيها من الفوائد العظيمة، والقواعد المفيدة، في علم التوحيد والعقيدة، ولما امتازت به من اليسر والسهولة والوضوح، وذكر القواعد والفوائد بأدلتها من الكتاب والسنة، فبارك الله له في مؤلفاته، وجعل الله فيها القبول، فعكف العلماء على شرحها والتعليق عليها ونظمها، ومن جملة من اعتنى

شرح الواجبات المتحتات العرفية

بمؤلفات الإمام النجدي: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي رَحْمَةُ اللَّهِ ^(١)
فجمع من كلام الإمام النجدي وبعض أحفاده رَحْمَتُهُمُ اللَّهُ هذه الرسالة النافعة.

قال الشيخ عبد الله القرعاوي - في مقدمة هذه الرسالة - رَحْمَةُ اللَّهِ:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضللَّ؛ فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

وَعَلَى اللَّهِ

أما بعد؛ فإنه لا صلاح للعباد، ولا فلاح، ولا نجاح، ولا حياة طيبة، ولا
سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ إلا بمعرفة أول
مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عزَّ وجلَّ له، وأخذ
عليهم الميثاق به، وبه حقَّت الحاقَّة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تُنصب الموازين،
وتتطير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم
الأنوار، ومن لم يجعل الله نورًا؛ فما له من نور، وذلك الأمر هو معرفة الله عزَّ وجلَّ
بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه،

(١) [القرعاوي] لقب لجده نسبة إلى قرية يسكنها يقال لها: (قرعاء) تابعة لمدينة بريدة، ولد في مدينة
بريدة عام (١٣٧٤هـ).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

من الشرك الأكبر والأصغر، والكفر الأكبر والأصغر، والنفاق الاعتقادي والعملي، ومعرفة الطاغوت والكفر به والإيمان بالله تعالى.

وقد كان الناس من أهل نجد وغيرهم قبل دعوة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهُ الله في جهل بهذا الركن الأعظم والأساس الأكبر، وأصل الأصول ورأس العلوم؛ أعني: علم توحيد الألوهية.

وقد تفاقم هذا الخطب وعظم، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الأمة وجسم، وطمست الآثار السلفية، وأقيمت البدع الرافضية والأمور الشركية.

إلى أن أراد الله تعالى إزالة تلك الظلمات، وكشف البدع والضلالات ونفي الشبهات والجهالات، وتصديق بشارة رسول رب الأرض والسموات في قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»^(١)، على يدي من أقامه هذا المقام، ومنحه جزيل الفضل والإنعام؛ أعني به الشيخ الإمام، خلف السلف الكرام، المتبع لهدي سيد الأنام، المنافع عن دين الله في كل مقام، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب، وضاعف له الثواب.

فدعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وقام بأمر الله في الدعوة إليه وما حابى أحداً فيه ولا دارى، فعظم على الأكثرين وأنفوا استكباراً، ولم يشنه ذلك عن أمر

(١) صحيح:

أخرجه أبو داود (٤٢٩١) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الله حتى قيض الله له أعواناً وأنصاراً، فرفعوا ألويته وأعلامه حتى انتشرت في الخافقين انتشاراً.

وصنف **رحمة الله** تعالى التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين، والرد على من خالفه من المشركين، ومن جملتها: (كتاب التوحيد)، وهو فرد في معناه؛ لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق، ومن ذلك: (الأصول الثلاثة)، و(كشف الشبهات)... وغير ذلك من المصنفات النافعة.

ولأهمية التوحيد وعظم شأنه؛ طلب مني بعض إخواني في الله تعالى أن أجمع متناً مختصراً فيما يجب أن يعتقد، وبه يعمل، ومنه يتعلم، يسهل على الطالب المبتدي حفظه، ولا يستغني الراغب المنتهي عن فهمه، فيسر لي ربي تبارك وتعالى ذلك، ووفق سبحانه وألهم أن جمعت من تقرير هذا الإمام وأحفاده وفيه عن غيرهم؛ فله الحمد على ذلك وغيره من المنن لا أحصي ثناء عليه، وأسميته: **(الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة).**

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات، وكل من قرأه أو سمعه أو نظر فيه؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. اهـ^(١)

وقد منَّ الله عليَّ -ولله الحمد والمِنَّة- بشرح هذه الرسالة النافعة، واستفدت من شرح الشيخ إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي **رحمة الله** الذي سماه:

(١) انظر: (التنبيهات المختصرة) ص ٧.

شرح الواجبات المتحتمات المعرفة

(التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة)
وذلك لكونه من طلبة الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ وقد عرض شرحه هذا
عليه، فأثنى عليه ثناء طيباً، وقد حاولت في شرحي هذا أن أشرح ألفاظ الكتاب
وأفك عباراته وأبين أهم المسائل المتعلقة بالتوحيد باختصار ليسهل تناولها
للطلاب وليكون صالحاً لتدريسه وإلقائه عليهم، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا
الشرح الإسلام والمسلمين، وأن يجعله ذخراً لي يوم لقاء الله رب العالمين، وأن
يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا
مضلين إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

وكتبه:

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ طَارِقُ بْنُ يُونُسَ الْوَلِيدِي

في يوم الخميس (٢٣/٥/١٤٤٢هـ)

الأصول الثلاثة

قال المصنف رحمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها وهي:
معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ.

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع
العالمين بنعمته وهو معبودي، ليس لي معبود سواه.

وإذا قيل لك: ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله
بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية
إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة
والتسليم، بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

الشرح:

ابتدأ المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ كتابه بالبسملة؛ اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، فيستحبُّ البداءة بها في كل أمر يهتم به شرعاً.

و«الله» علم على ذات الله عَزَّوَجَلَّ ولا يسمى به غيره، ومعناه: المألوه محبة وتعظيماً.

وقوله: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» الرحمن اسم دال على الصفة القائمة بالله سبحانه، ومعناه: ذو الرحمة الواسعة، والرحيم اسم يدل على تعديها إلى المخلوقين، ومعناه: ذو الرحمة الكثيرة.

وقوله: «الأصول الثلاثة» الأصول: جمع أصل، وهو: ما تفرع عنه غيره.

فهذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين التي يرجع الدين كله إليها، ويبنى عليها ويتفرع منها، وتقرير هذه الأصول الثلاثة ليست من رأي الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ بدون دليل، بل استنبطها من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فقد جاء في الصحيحين^(١) -في سؤال الميت في قبره عن هذه الأصول الثلاثة- قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٩)، ومسلم برقم (٢٨٧١).

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وإن الكافر أو المنافق تُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كَذَبَ، فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُضيقُ عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ثم يَقِيضُ له أعمى أبكم معه مِرْزَبَةٌ من حديد، لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لصار تراباً، فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصيرُ تراباً^(١).

وقوله: «التي يجب» أي: يجب وجوباً عينياً (لا كفائياً؛ إذ لا يعذر أحد بتركه) **«على كل مسلم ومسلمة» أي:** من المكلفين، حرّاً كان أو عبداً؛ لأن من ترك الأصول؛ حرم الوصول، ومن ترك الدليل؛ ضل السبيل.

(١) حسن:

أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٤٧٥٣) وغيرهما من طرق عن أبي معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن منهل بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب به. وهذا إسناد حسن، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٤١).

شرح الواجبات المتحتبات المعرفة

وقوله: «تعلمها» أي: يجب على كل مكلف تعلمها، ومعرفتها، واعتقادها، والعمل بما دلت عليه ظاهراً وباطناً.

والعلم: معرفة الهدى بدليله، وإذا أطلق العلم؛ فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه.

وقوله: «وهي» أي: الأصول الثلاثة «معرفة العبد ربه» أي: بما تعرف إليه في كتابه وسنة رسوله ﷺ من وحدانيته وأسمائه وأفعاله؛ فهو رب كل شيء ومليكه، لا إله غيره ولا رب سواه.

وهذا أصل الأصول؛ فيجب علينا معرفته؛ لنعبده على حقيقة وبصيرة، ولا يكون الإنسان على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله سبحانه، وما يجب له من التعظيم والإجلال.

وقوله: «ودينه» أي: ومعرفة دين الإسلام الذي تعبدنا به بأدلته من الكتاب والسنة. والدين: لغة: الذل والانقياد. وشرعاً: ما أمر الله به على ألسنة رسوله.

وقوله: «ونبيه محمداً ﷺ» أي: ومعرفة نبيه محمد رسول الله ﷺ؛ لأنه الواسطة بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الرسالة، وهو أفضل الخلق على الإطلاق، والآيات والأحاديث في فضله وشرفه كثيرة جداً، ومعرفته فرض على كل مكلف؛ لأنه لا طريق لنا إلى عبادة الله إلا بما جاء به ﷺ.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

وقد ذكر المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ هذه الأصول مجملة، ثم سيذكرها مفصلة أصلاً أصلاً؛
تتميمًا للفائدة، وتنشيطًا للقارئ؛ فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها بقي متشوقًا
إلى معرفة معانيها وتفصيلها.

وقوله: «إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟» هذا شروع في تفصيل ما تقدم من الأصول
الثلاثة، وأخرج الكلام بصيغة السؤال؛ ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في الفهم،
وأقرب إلى الانتباه، فقال: **«إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟»** أي: من إلهك الذي خلقك
ورباك ورزقك النعم لتستعين بها على عبادته وحده لا شريك له؟ والرب: هو
المعبود المالك المتصرف، وله معانٍ أخرى، ولا يطلق معرفًا بالألف واللام إلا على
الله تعالى.

وقوله: «فَقُلْ» أي: فقل أيها العبد: **«رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي»** أي: هو الذي
أوجدني من العدم وربَّاني بالنعم وحده لا شريك له **«وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ
بِنِعْمَتِهِ»** أي: بنعمه الظاهرة والباطنة، وهو الذي أوجد العالم العلوي والسفلي من
العدم، وهو مالكهم ورازقهم والمتصرف فيهم بما شاء.

والخلق مفطورون على معرفة خالقهم سبحانه، لا يَنَازِعُ في ربوبيته ووجوده
إلا مجنون أو مكابر معاند، وكل مخلوقاته وآياته - وإن دقت - دالة أعظم دلالة على
وجود الخالق وعظمته وتفرد بالربوبية وحده لا شريك له ولا إله سواه.

و[العالمون]: جمع عالم، وهم كل ما سوى الله؛ فالوجود قسمان: رب
ومربوب. فالرب: هو الله العظيم سبحانه، والمربوب: هو العالم. والمراد بهم جميع

شرح الواجبات المتحتبات للعرفان

المخلوقات. وسمي العالم عالماً؛ لأنه علامة واضحة دالة على صانعه وموجده جلّ وعلا.

وقوله: «وهو» أي: الله تعالى «معبودي» أي: مألوهي وحده «ليس لي معبود سواه» أي: فكما أنه سبحانه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير؛ فهو وحده المتفرد والمستحق بأن يعبد وحده دون من سواه، وهذا هو مدلول كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله.

فأعظم دليل على توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية؛ كما يستدل بذلك سبحانه وتعالى على المشركين في آيات كثيرة من كتابه: كما في أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، **قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:** ومضمون الآية: أن الله هو الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: «وإذا قيل لك: ما دينك؟» شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الأصل الثاني من أصول الدين فقال: **«وإذا قيل لك» أي: وإذا قال لك قائل «ما دينك؟» أي: ما هو الدين الذي تدين الله به وتنال به السعادة في الدنيا والآخرة؟ «فقل: ديني**

الإسلام أي: ديني هو الإسلام، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً غيره، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ فالدين واحد وهو الإسلام، أما الشرائع؛ فقد تختلف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. والدين له ثلاث مراتب وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

وقوله: «وهو» أي: الإسلام: **«الاستسلام لله»** أي الذل والخضوع لله تعالى **«بالتوحيد»** الذي هو إفراد الله بالعبادة، فالمسلم ذليل خاضع منقاد لله وحده، مستسلم طوعاً لعبادته دون من سواه.

وقوله: «والانقياد له بالطاعة» أي: فلا يكفي مجرد الاستسلام والخضوع فقط، بل لابدَّ مع ذلك من الانقياد لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، وترك المنهيات؛ طاعة لله، ابتغاء وجهه، ورغبة فيما عنده، وخوفاً من عقابه.

وقوله: «والبراءة من الشرك وأهله» أي: فالمسلم إذا انقاد لأوامر الله تعالى باطناً وظاهراً؛ وجب عليه شيء آخر، وهو البراءة والتبري من الشرك كبيره وصغيره، ومن أهل الشرك؛ بإظهار عداوتهم وبغضهم وتكفيرهم، وعدم مساكتهم ومؤاكتهم، وعدم التشبه بهم في الأقوال والأعمال، بل لابدَّ من التبري من كل خصلة من خصالهم.

شرح الواجبات المتحتيات العرفية

وهذا هو أوثق عرى الإيمان، وهو الولاء والبراء، والحب والبغض، والموالاتة والمعاداة.

وقوله: «إذا قيل لك: من نبيك؟» هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين. وهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، شرفه الله بالعبودية. فيجب على المكلف معرفته، والإيمان به، ومحبته، وطاعته، وتعظيمه، وتبجيله، وتوقيره، فلا يعرف الأصل الأول وهو معرفة الله، ولا الأصل الثاني وهو معرفة الدين؛ إلا بمعرفة الأصل الثالث وهو معرفة الوسطة بيننا وبين الله في تبليغ الرسالة، فتحتمت معرفته، وصارت من الضروريات اللازمة.

ومعرفته ﷺ تشتمل على معرفة نسبه الشريف وعمره وبقائه في الدنيا ووفاته وما نبئ به وما أرسل به وبلده ومهاجره، وأعظم ذلك معرفة ما بعث به.... إلى غير ذلك؛ كما ذكره المصنف رحمه الله في (ثلاثة الأصول)، وقال هنا: **«إذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: محمد»** وله ﷺ عدة أسماء، وأشهرها محمد، وهو الذي جاء في القرآن والسنة أكثر من غيره، ومن أسمائه أحمد؛ كما في [سورة الصف]، وسمي محمدًا لكثرة خصاله الحميدة، وأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره، وكنته أبو القاسم.

وقوله: «ابن عبد الله بن عبد المطلب» واسمه شيبه، ويقال له: شيبه الحمد؛ لجوده وجماع أمر قريش عليه^(١).

وقوله: «ابن هاشم» واسمه عمرو، وإنما سمي هاشمًا لهشمه الشريد مع اللحم لقومه في سني المحل.

وقوله: «وهاشم من قريش» ولا خلاف بين العلماء أن هاشمًا ابنٌ لعبد مناف، واسمه: المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النساين، ولا خلاف فيه ألبته، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقوله: «وقريش من العرب» والمراد بالعرب هنا المستعربة؛ فإن العرب قسمان: عاربة ومستعربة؛ فالعاربة قحطان، والمستعربة عدنان، وهم أفضل من العرب العاربة؛ لأن منهم أفضل الخلق ﷺ، وهو القائل كما في حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ

(١) قيل: وإنما سمي بعبد المطلب؛ لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه، وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا له - أي: مملوكًا - فقالوا: هذا عبد المطلب! فعلق به هذا الاسم.

إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» رواه مسلم (١).

ولما سأل هرقل أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نسب النبي ﷺ؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: وهكذا الرسل تبعث في أنساب قومها؛ يعني: في أكرمها أحسابًا. متفق عليه (٢).

وقوله: «والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم» وهذا لا خلاف فيه، ولا خلاف أن الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من ذرية سام بن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقوله: «بعث الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد» ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أعظم الأمور وأعلاها في معرفة نبينا وهو معرفة ما بُعث به ﷺ، وأنه بعث بالندارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وقدم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الندارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد، لأن هذا مدلول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فبدأ بجانب الشرك لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي، فلو وجدت والمنافي لها موجود لم تصح، ثم ثنى بالتوحيد، لأنه أوجب الواجبات، ولا يرفع عمل إلا به.

(١) برقم (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

أصل الدين وقاعدته

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك،
والموالاتة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة
فيه، وتكفير من فعله.

الشرح:

قوله: «أصل الدين وقاعدته» أي: أن أصل الدين وأساسه وقاعدته الذي
ينبني عليه غيره، ويتفرع منه سواه، ولا يصحُّ عمل ولا قول إلا به: «أمران» أي:
أمران عظيمان وهما: معنى كلمة الإخلاص [لا إله إلا الله]، التي خلق الله الثقلين
لأجلها.

وقوله: «الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له» أي: إفراده بالعبادة كلها
له، والعبادة لغة: التذلل والخضوع والانقياد، وشرعاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله

شرح الواجبات المتحتات العرفية

ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ كالدعاء، والصلاة، والخوف، والرجاء، والمحبة، وغير ذلك من العبادات؛ فيجب إخلاصها وإفرادها لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئاً لغير الله؛ فهو مشرك كافر.

وكل رسول أرسله الله إلى قومه أول ما يأمرهم به هو إفراد الله بالعبادة دون من سواه: كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والنبي ﷺ مكث في مكة عشر سنين يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له قبل فرض الصلاة وغيرها من الشرائع؛ لأن التوحيد أساس الملة وأصلها.

وقوله: «والتحريض على ذلك» أي: على عبادة الله وحده لا شريك له، والحث على ذلك، والصبر والمصابرة على الدعوة إلى التوحيد؛ كما كان النبي ﷺ وأتباعه من بعده.

وقوله: «والموالة فيه» أي: في التوحيد. والموالة هي: الموادة والمصادقة والنصرة، ضد المعادة فمن أحب الله؛ أحب فيه، ووالى أوليائه، وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه؛ قويت هذه الأعمال المترتبة عليها، وبكاملها يكمل توحيد العبد، وبضعفها يضعف، فيجب على المسلم موالة أولياء الله تعالى ومحبتهم؛ لأن ذلك من لوازم: [لا إله إلا الله].

وقوله: «وتكفير من تركه» أي: من ترك التوحيد، فمن لم يفرد الله بالعبادة؛ فهو كافر، كائناً من كان، ولو كان يقوم الليل ويصوم النهار، ومن لم يكفره أو شك في كفره بعد قيام الحجة؛ فهو كافر مثله.

وقوله: «الثاني» أي: الأمر الثاني الذي يبنى عليه الدين هو «الإنذار» أي: الإعلام بتخويف وتحذير شديد، والنهي الأكيد، والوعيد الشديد «عن الشرك في عبادة الله» لأن الشرك أعظم ذنب عصي الله به، وأول آية أرسل بها النبي ﷺ، وأول أمر طرق سمعه بالإنذار عن الشرك: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ﴿فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]؛ أي: عن الشرك بالله تعالى، فدّل على أن النهي عن الشرك أعظم شيء نُهي عنه، وأول ذنب حذّر منه؛ لأنه بدأ به، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم.

والنذارة عن الشرك مقدم على الدعوة إلى التوحيد؛ لأنه مدلول كلمة التوحيد: [لا إله إلا الله]، ولأن هذه الآية تقتضي ذلك؛ فإنها بدأت بجانب الشرك؛ لكون العبادة لا تصح مع وجوده؛ لأنه ينافيها، فلو وجدت العبادة والمنافي وهو الشرك موجود؛ لم تصح، ولم تنفع.

ثم ثنى بالتوحيد بقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]؛ أي: عظمه بالتوحيد؛ لأنه أوجب الواجبات، وهو المقصود، ولا يرفع عمل إلا به.

وقوله: «والتغليظ في ذلك» أي: في الشرك، والتشديد في النهي عنه وعن أسبابه وذرائعه الموصلة إليه؛ لأنه أظلم الظلم وأبطل الباطل، ومع ذلك؛ فهو هضم للربوبية، وتنقّص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين جلّ وعلا وتقدّس.

شرح الواجبات المتحبات العرفية

والشرك أقبح المعاصي وأشنعها على الإطلاق؛ لأنه يقتضي تسوية المخلوق الناقص من كل وجه بالخالق العظيم الكامل من جميع الوجوه؛ فسبحان الله وتعالى عما يشركون.

ولذلك كانت جميع الذنوب تحت المشيئة؛ إلا الشرك: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وفي الصحيحين^(١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». **وقوله: «والمعاداة فيه»** أي: في الشرك وأهله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

فيجب على المسلم أن يبغض أهل الشرك ويعاديهم ويصارمهم ويقاطعهم، سواء كانوا قريين أم بعيدين؛ فإن القرب إنما هو في الحقيقة قرب الدين لا قرب النسب؛ فالمسلم، ولو كان بعيد الدار؛ فهو أخوك في الدين، والكافر، ولو كان أخاك في النسب؛ فهو عدوك في الدين، وحرام على كل مسلم ومسلمة موالاة الكفار، بل يجب اتخاذهم أعداء وبغضاء، وقد نفى الله الإيثار عن يواد الكفار

(١) البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦).

ويجبهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقوله: «وتكفير من فعله» أي: من فعل الشرك؛ كما تقدم، ومن لم يكفر المشركين أو شك أو توقف في كفرهم؛ فهو كافر مثلهم؛ كما سيأتي.

وجميع ما قرره المصنف **رحمه الله** في الأمر الثاني؛ فهو يقابل ما في الأمر الأول؛ فالأمر بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، يقابله: النهي عن الشرك والإنذار عنه، والتحريض على التوحيد، يقابله: التغليب في الشرك... وهكذا.

شروط لا إله إلا الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

شروط لا إله إلا الله:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بحقوقها - وهي الأعمال الواجبة - إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

السابع: القبول المنافي للرد^(١).

(١) هذه الشروط السبعة نقلها الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ من كلام العلامة المجدد الثاني =

الشرح:

قوله: «شروط لا إله إلا الله» أي: الأمور التي يجب على كل مسلم العمل بها حتى يكون مسلماً ظاهراً وباطناً، وإذا فقد المسلم منها شرطاً واحداً لم يكن مسلماً بل كان كافراً، **قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:** "ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له: أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله" اهـ^(١).

وقال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ:

"النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها غير نافع بالإجماع" اهـ^(٢).

وهذه الشروط السبعة كان الكفار في زمن رسول الله ﷺ يعلمون أنه لا بد لمن قال كلمة التوحيد أن يكون آتياً بشروطها قبل النطق بها؛ لأنهم أهل لغة ومعرفة بالكلام العربي حقيقة، فلا يقدمون على التلفظ بها؛ لمعرفتهم لمعناها ولما تقتضيه وتستلزمه: ولذلك لما قال لهم النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

= الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ. انظر: (فتح المجيد) ص ١٥٣-١٥٤.

(١) انظر: (معارج القبول) (٤١٨/٢).

(٢) انظر: (تيسير العزيز الحميد) ص ٥١.

شرح الواجبات المتحتيات العرفية

تُفْلِحُوا» قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] ^(١)، ووُجِدَ في كلام السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ ما يشير إلى هذه الشروط ^(٢)، ولكن لما جهل الناس اللغة العربية الفصحى، وابتعدوا عن تعلم التوحيد؛ صار أكثر الناس يقولها وهو لا يعلم معناها فيقع فيما يناقضها، فلذلك جمع هذه الشروط السبعة العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أول من جمعها، وقد استقرأها من الكتاب والسنة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا وفتح الباب ليس بممكن	إلا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتو	حيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ	إسلام والمفتاح بالأسنان
لا تلغين هذا المثال فكم به	من حل إشكال لذي العرفان

وقوله: «الأول» أي: الشرط الأول من شروط: لا إله إلا الله: «العلم بمعناها نفياً وإثباتاً» أي: يجب أن يعلم معنى لا إله إلا الله بأنه لا معبود حق إلا الله، فمن

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٢٠) والبخاري في (خلق أفعال العباد) ص ٦٣ وابن خزيمة (١٥٩) وابن حبان (٦٥٦٢) والدارقطني (٢٩٧٦) من طرق عن يزيد بن زياد هو ابن أبي الجعد عن جامع بن شداد عن طارق المحاربي به. ورجاله كلهم ثقات وهو في (الصحيح المسند) للعلامة الوادعي: برقم (٥٢٠).

(٢) صح عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال للفرزدق -وهو يدين امرأته-: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نِعَمَ الْعُدَّة، إن لا إله إلا الله شروطاً.

علم بأن كل ما يعبد من دون الله فهو باطل وأن المعبود بحق هو الله فقد علم معناها ولا يشترط حفظه لهذا التعريف، ومن فسرهما بغير معناها لم تنفعه، ومن علم بمعناها ولم يعمل بمقتضاها فليس بمسلم؛ لأن المراد بالعلم هنا: العلم المقترن بالعمل.

وليس معنى هذه الكلمة العظيمة ما يقوله بعض الجهالة: إن معناها: (لا يخلق ولا يرزق إلا الله)؛ فإنها وإن دلت عليه بطريق التضمن؛ فهي موضوعة لتوحيد الإلهية، الذي هو إفراد الله بالعبادة، وهو الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب في تقريره وإيضاحه والأمر به والنهي عن ضده، أما توحيد الربوبية؛ فقد أقر به المشركون على عهد رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم؛ لأنه يريد منهم إفراد العبادة لله وحده لا شريك له. ولو كان معناها: (لا خالق ولا رازق إلا الله) لما أنكرت قریش هذه الكلمة كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٣٥] وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزِدُّكَ إِلَّا الْهَتَا لَشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] وبهذا يتبين أن مدلول [لا إلا الله] مطابقة هو إفراد الله بالعبادة، ولها ركنان، وهما: النفي والإثبات: [لا إله]: تنفي جميع ما يعبد من دون الله، و[إلا الله]: تثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

وقوله: «الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب» اليقين هو إزالة الشك، وذلك من قوة العلم وكماله؛ فيقول هذه الكلمة وهو مستيقن

شرح الواجبات المتحتمات العرفية

بمدلولها يقينا جازما لا شك فيه، فاليقين أعلى مراتب العلم (لأنه العلم التام الموجب للعمل، بحيث تطمئن بها نفسه وتستقر) واليقين من أعمال القلوب فمن لم يحقق هذا الشرط فهو منافق مرتاب شك.

وقوله: «الثالث: الإخلاص المنافي للشرك» الإخلاص هو: تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك. ومعنى ذلك أن يقولها وهو يريد بذلك وجه الله لا يريد بها أحداً آخر غير الله، فلو أراد بها شيئاً آخر كان مشركاً.

وقوله: «الرابع: الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق» الصدق هو الإخبار بما يطابق الواقع. ومعنى هذا أن المسلم يقول كلمة التوحيد مصداقاً بها قلبه متذللاً بها لسانه، فإن قالها بلسانه ولم يصدقها قلبه كان من المنافقين الذين نطقت ألسنتهم بها وعملوا بمقتضاها ظاهراً وقلوبهم لم تصدق بذلك بل هي مكذبة بهذه الكلمة.

وقوله: «الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك» الحبُّ هو نقيض البغض، ومعنى هذا أن يحب كلمة التوحيد ويحب أهلها والداعين إليها ويبغض ما ينافيها وأهلها والداعين إليها، فمن قالها وهو مبغض لها ولأهلها فليس بمسلم كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْذَنُهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وقوله: «السادس: الانقياد بحقوقها-وهي الأعمال الواجبة-إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته» الانقياد هو الخضوع والاستسلام والاذعان، وهو نوعان: انقياد

الظاهر، وانقياد الباطن، فمن تحقق فيه الانقياد الظاهر والباطن فقد حقق هذه الكلمة وهو من المسلمين الموحدين، وأما من اختل عنده الانقياد الباطن وهو منقاد لله ولرسوله ﷺ في الظاهر فهذا هو المنافق، وأما من اختل عنده الانقياد الظاهر وزعم أنه منقاد في الباطن فهو كافر؛ لأن تارك عمل الجارحة ما تركه إلا بعد أن امتلأ قلبه بالنفاق. (١)

والانقياد ينافي الترك، فمن عبد الله وعبد غيره فهذا مشرك غير منقاد لكلمة التوحيد، ومن ترك عبادة الله تركا كلياً بأن لم يعبد الله ألبتة فهذا هو الكافر المستكبر.

(١) قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: من قال هذه الكلمة عارفا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقاً، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد، فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك، فهو الكافر ولو قالها، ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً وهم ﴿فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها، فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف، فذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله، كعباد القبور والأصنام، فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها، وما أشبهه من الأحاديث. اهـ انظر: (تيسير العزيز الحميد) ص ٥٦.

وقوله: «السابع: القبول المنافي للرد» أي: القبول لهذه الكلمة وما دلت عليه بقلبه ولسانه، فمن رد هذه الكلمة من أصلها ولم يقبلها أصلاً بل استكبر عن التوحيد كما صنع كفار قريش فهو كافر.

والفرق بين القبول والانقياد أن القبول يكون قبل الانقياد، فإذا انتفى القبول انتفى الانقياد من باب أولى، ولكن قد يحصل قبول في الظاهر ولا يحصل انقياد لها^(١).

وبقي شرط ثامن وهو: الكفر بما يعبد من دون الله.

فلا يكون مسلماً إلا بالبراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله، فإن لم يتبرأ من عبادتهم أو شك أو توقف في كفرهم فهو كافر بالله، ودليله قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن السنة: ما جاء في صحيح مسلم^(٢) عن طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ، وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

(١) فكل منقاد قابل، وليس كل قابل منقاداً، وقال بعضهم: القبول إظهار صحة ذلك بالقول، والانقياد الاتباع بالأفعال.

(٢) برقم (٢٣).

وقد نظم بعضهم هذه الشروط فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأنداد قد ألها

وقال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

وبشروط سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

تنبيه: هذه الشروط متلازمة، فالصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقا فهو منافق، ولهذا المتقدمون اکتفوا بذكر بعضها لدلالة بعضها على بعض بطريقة اللزوم، ولكن ذكرها مفصلة أوضح وأسهل لطلاب العلم، وكل من أشرك بالله تعالى فقد أخل بهذه الشروط. ^(١)

(١) انظر: (فتح المجيد) ص ١٧٦-١٧٧.

أدلة شروط لا إله إلا الله

قال المصنف رحمه الله:

أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ:

دليل العلم: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي بـ [لا إله إلا الله]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي: بقلوبهم ما نطقوا به بألستهم.

ومن السنة: الحديث الثابت في (الصحيح) عن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ودليل اليقين: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين.

ومن السنة: الحديث الثابت في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا -من حديث طويل-: «مَنْ لَقِيَ مَنْ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ».

ودليل الإخلاص: قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص. وقوله سبحانه:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]. ومن السنة:

الحديث الثابت في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ:

«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ

قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». وفي (الصحيح) عن عتب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي

ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ

وَجْهَ اللَّهِ [عز وجل]».

وللنسائي في (اليوم والليلة) من حديث رجلين من الصحابة، عن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله».

ودليل الصدق: قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١-٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ [البقرة: ٨-١٠]. ومن السنة: ما جاء في (الصحيحين) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَنَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقوله:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ

أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَا يُعِ ۖ﴾ الآية [المائدة: ٥٤].

ومن السنة: ما ثبت في (الصحيح) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول

الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ

يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

ودليل الانقياد لما دلت عليه: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ

وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] وقوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ

وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]: أي بـ «لا إله إلا الله».

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[النساء: ٦٥].

ومن السنة: قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»، وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

ودليل القبول: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قُلْ أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

ومن السنة: ما ثبت في (الصحيح) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْعَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ،

فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

الشرح:

قوله: «أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ» شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أدلة الشروط المتقدمة من الكتاب والسنة فقال: «دليل العلم: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الله، فأمر الله تعالى بالعلم الذي لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، وهو فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي بـ [لا إله إلا الله]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم» فيشترط في الشهادة لله تعالى بالوحدانية، العلم بمعناها والعمل بمقتضاها.

شرح الواجبات المتحتمات للعرفان

وقوله: «ومن السنة» أي: والدليل على ذلك من سنة النبي ﷺ «الحديث الثابت في (الصحيح) أي: صحيح مسلم^(١)» عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» أي من مات وهو يعلم علما يقينا أنه لا معبود بحق إلا الله، دخل الجنة إما دخولا أوليا إن لم يصدر عنه ذنب بعد الإيمان، أو أذنبت وتاب، أو عفا الله عنه. أو دخولا أخرويا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وقوله: «ودليل اليقين» أي: وأنه من شروط لا إله إلا الله «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم {لم يرتابوا} أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين» فوصف الله المؤمنين حقا بأنهم آمنوا ولم يشكوا في إيمانهم؛ بل جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، وهذا يدل على الإيمان التام في القلب، فهؤلاء هم الصادقون في إيمانهم.

وقوله: «ومن السنة: الحديث الثابت في (الصحيح) أي: صحيح مسلم^(٢)» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وفي رواية: «لا

(١) برقم (٢٦).

(٢) برقم (٢٧).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

يَلْقَى اللهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ، فَيُحْبَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» فقولوه: «غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا» دليل على اشتراط اليقين المنافي للشك في كلمة التوحيد الموجبة لدخول الجنة، فمن شك في هذه الكلمة فليس بمسلم ولا يدخل الجنة. «وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً- من حديث طويل -: «مَنْ لَقِيََتْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ» رواه مسلم^(١)، والشاهد من الأحاديث: بيان أن الجنة لا يدخلها إلا من كان موقناً بكلمة التوحيد، وأن من قالها وهو شاك فيها فليس بمسلم.

وقوله: «ودليل الإخلاص: قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد بها وجهه، لا غير ذلك من المقاصد، بدليل أن «تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص».

«وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾» أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه ﴿حُنَفَاءَ﴾ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، فدل على أن الإخلاص شرط من شروط لا إله إلا الله.

(١) برقم (٣١).

وقوله: «ومن السنة: الحديث الثابت في (الصحيح) أي: صحيح البخاري^(١)»
 «عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» أي: سالما قلبه من كل شوب، فلا يشوب كلمة التوحيد رياء ولا سمعة، بل هي شهادة يقين وإخلاص، فخرج بذلك من قالها نفاقا، فإنه لا حظ له في الشفاعة، فإن المنافق يقول: لا إله إلا الله، ويقول: أشهد أن محمدا رسول الله، ولكن لا يقولها بإخلاص وصدق.

وقوله: «وفي (الصحيح) أي: صحيح البخاري ومسلم^(٢)» «عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ [عز وجل]» أي: من قال: [لا إله إلا الله] أي: بشرط الإخلاص، بدليل قوله: «يبتغي بذلك وجه الله» أي: يطلب وجه الله، فمن قالها يبتغي بها وجه الله فلا بد أن يعمل بما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك.

وقوله: «وللنسائي في (اليوم والليلة) من حديث رجلين من الصحابة، عن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصًا بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه

(١) برقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣) وما بين المعكوفين ليست في الحديث.

سؤاله^(١) والشاهد من الحديث قوله: «مخلصاً بها قلبه» أي: يشترط في كلمة التوحيد الإخلاص، فمن قالها غير مخلص فيها فهو مشرك، ولا ينفعه قول: [لا إله إلا الله].

وقوله: «ودليل الصدق: قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: من قال: [لا إله إلا الله] فإن الله يمتحنه في قوله لكلمة التوحيد، بأن يصاب بالأذى من الكفار والمنافقين والفُسَّاق، فإن صبر وثبت على إيمانه وتحمل الأذى في سبيل الله عز وجل، فهذا دليل على صدق إيمانه وقوله، وأما إن انحرف وذهب مع الفتنة فإن هذا دليل على نفاقه وكذبه.

(١) ضعيف:

أخرجه النسائي في (عمل اليوم والليلة) برقم (٢٨) وفي (الكبرى) (٩٧٧٢) فقال: أخبرني إبراهيم بن يعقوب قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثني وبر قال: حدثني محمد بن عبد الله بن ميمون، عن يعقوب بن عاصم: أنه سمع رجلين من أصحاب النبي ﷺ، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بِهَا رُوحَهُ، مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبَهُ لِسَانَهُ، إِلَّا فُتِقَ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَى قَائِلِهَا، وَحَقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ» وفيه: محمد بن عبد الله بن ميمون، تفرد بالرواية عنه وبره، قال ابن المديني: مجهول لم يرو عنه غير وبره، وقال الحافظ في التقریب: مقبول، ولهذا قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: منكر بهذا التهام، فيه: محمد بن عبد الله بن ميمون وهو مجهول، وقد تفرد بهذا السياق، وفيه نكارة ظاهرة. اهـ (الضعيفة) برقم (٦٦١٧).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

«وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُوا الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ والشاهد من الآية: أن المنافقين يقولون كلمة التوحيد بالستهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا خادعة لله ولعباده المؤمنين، ثم أخبر تعالى أن لهم العذاب الأليم الموجه في الدنيا والآخرة، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم.

وقوله: «ومن السنة: ما جاء في (الصحيحين) أي: صحيح البخاري ومسلم^(١)» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صوابه: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة معاذ بن جبل «عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ» أي: ما من أحد ينطق بالشهادتين نطقاً صادقاً مطابقاً لما في قلبه «إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» أي: حرم عليه الخلود فيها.

وقوله: «ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ فأخبر الله تعالى أن المشركين يحبون الله ويحبون أندادهم فأشركوا في المحبة، بخلاف أهل الإيمان فإنهم أخلصوا المحبة لله تعالى، فدل هذا على أن من شروط كلمة التوحيد إفراد الله تعالى بالمحبة.

(١) البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

«وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ الآية» والشاهد من الآية: أن الله تعالى وصف المؤمنين بالمحبة لله وحده لا شريك، وهذا من شروط التوحيد.

وقوله: «ومن السنة: ما ثبت في (الصحيح) أي: صحيح البخاري ومسلم^(١)»
«عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» والشاهد: أن الإنسان لا يجد طعم الإيمان وحلاوته حتى يقدم محبة الله تعالى على جميع المحاب، وهذا دليل اشتراط المحبة في كلمة التوحيد، المنافي لبغضها وبغض أهلها.

وقوله: «ودليل الانقياد لما دلت عليه: قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ فامر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالرجوع إليه، والانقياد لأمره وطاعته، وهذا دليل على اشتراط الانقياد.

«وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الانقياد والاستسلام لله بتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله وبين الإخلاص للمعبود، فهذا هو المسلم حقا.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

«وقوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ومن يخضع لله وينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول ﷺ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي بـ«لا إله إلا الله» أي: فمن فعل ذلك فهو المسلم حقا الذي تمسك بـ [العروة] وهي: ما يُستمسك به ويعتصم به [الوثقى] أي: التي لا تنقطع، بل صاحبها قد توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل خير.

«وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: ينقادوا لأمرك انقيادا، فنفى الله تعالى الإيمان عمن لم ينقد لحكمه سبحانه، وهذا دليل اشتراط الإنقياد لكلمة التوحيد.

وقوله: «ومن السنة: قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»^(١) أي: أن الإنسان لا يؤمن الإيمان الكامل حتى يكون هواه وميله منقادا وتبعا وموافقا لشرعية محمد ﷺ «وهذا هو تمام الانقياد وغايته».

(١) ضعيف:

أخرجه أبو الفتح المقدسي في (الحجة على تارك المحجة) وكذا الطبراني كما في (جامع العلوم والحكم) (٤١) وابن أبي عاصم في (السنة) (١٥) والبغوي في (شرح السنة) (١٠٤) والخطيب في (تاريخه) (١٦٠٩) وغيرهم من طرق عن نعيم بن حماد، قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عقبة بن أوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وهذا إسناد ضعيف، فيه علتان: (١): نعيم بن حماد الخزاعي ضعيف، مع إمامته في السنة وشدته =

شرح الواجبات المتحتبات للعرفات

وقوله: «ودليل القبول: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جَحَّتْ كُرْبُهُمْ فَمَا يَهْدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ والشاهد من الآية: أن الأقوام الذين بعث الله إليهم الرسل لم يقبلوا الحق، بل كفروا وكذبوا بما جاءوا به، ولهذا عاجلهم الله بالعقوبة.

«وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ولا يقبلونها؛ لأنهم عرفوا أنها تقتضي ترك عبادة ما سوى الله، وإفراد الله بالعبادة ولهذا قالوا: ﴿أَبْنَا لَنَا رُكُوءًا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾

وقوله: «ومن السنة: ما ثبت في (الصحيح) أي: صحيح البخاري ومسلم^(١) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أُمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ،

= على أهل الأهواء، لكنه كان يهم وتشبهه عليه الأحاديث فضعف لكثرة أخطائه رَحِمَهُ اللَّهُ. (٢): اضطراب نعيم في هذا الحديث، فتارة يقول: عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام بن حسان. وتارة يقول: عن بعض مشيختنا عن هشام بن حسان، وتارة يقول: عن هشام بن حسان أو غيره. قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: تصحيح هذا الحديث بعيد جدا.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢).

شرح الواجبات المتحتمات للعرفات

فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ
مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ
وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ^(١)»
والشاهد من الحديث: أن من لم يقبل هدى الله الذي أرسل به رسوله ﷺ فهو
كافر، وهذا دليل اشتراط القبول.

(١) البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

نواقض الإسلام

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. ومنه: الذبح لغير الله كمن يذبح للجن، أو للقبر.

الشرح:

شرع المصنف رَحِمَهُ اللهُ في ذكر نواقض الإسلام وهي: مفسدات الإسلام التي متى طرأت عليه أفسدته، وخرج بها من الإسلام إلى الكفر الأكبر، ويقال لها أيضا: مبطلات الإسلام، وأسباب الردة.

ومعرفة أسباب الردة ونواقض الإسلام مهم جدا للمسلم، لكي يجتنبها ويحذر الناس من الوقوع فيها؛ لأنه يخشى على من لم يعرفها أن يقع في شيء منها.

ومن وقع من المسلمين في ناقض من نواقض الإسلام، فلا يحكم عليه بعينه بالكفر والخروج من دائرة الإسلام حتى تقوم عليه الحجة، باجتماع الشروط وانتفاء الموانع؛ لأن هناك فرق بين الحكم على الشيء بأنه كفر، وبين الحكم على الفاعل، فمن القواعد المعروفة عند العلماء: [ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه]، فلا بد قبل الحكم على الإنسان بعينه بالكفر من أمور وهي:

(١) ثبوت أن هذا القول أو الفعل أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو

السنة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

الكفر حق الله ثم رسوله بالنص يثبت لا بقول فلان من كان رب العالمين وعبدُه قد كفرَاه فذاك ذو الكفران^(١)

(٢) ثبوت أن هذا القول أو الفعل قام بهذا المكلف؛ لأن [من ثبت إسلامه

بيقين، فلا يُزال عنه الإيمان إلا بيقين] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦].

(٣) اجتماع شروط التكفير وانتفاء موانعه في حق ذلك المعين.

وشروط التكفير هي:

١- البلوغ.

(١) انظر: (الكافية الشافية) ص ٨٥٩.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

٢- العقل. ودليل ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ:

«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ» ^(١).

٣- الاختيار. قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

٤- العلم. والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

٥- القصد. لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

ولحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في (صحيح مسلم) ^(٢) قال رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا

(١) حسن لغيره:

أخرجه أحمد (٢٤٦٩٤) وأبو داود (٤٣٩٨) بإسناد فيه ضعف، ولكن قد جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه موقوفا عليه وله حكم الرفع.

(٢) برقم (٢٧٤٧).

شرح الواجبات المتحتبات بالعرفان

هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

٦- عدم التأويل. والدليل على ذلك إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على عدم تكفير من كان متأولاً.

وموانع التكفير هي: (١) الصغر. (٢) زوال العقل. (٣) الإكراه. (٤) الجهل. (٥) الخطأ. (٦) التأويل.

قوله: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة» [النقض] معناه حل الشيء المبرم وإفساده، ونواقض الإسلام هي: أقوال وأفعال واعتقادات تزيل الإيثار وتجبته. وهي كثيرة جداً، وكلها راجعه إلى خمسة أنواع:

(١) القول الكفري. وهو أن يتلفظ بكلمة الكفر، كسب الله تعالى أو رسوله

ﷺ

(٢) الفعل الكفري. وهو أن يعمل عملاً كفرياً، كالدوس على المصحف.

(٣) الاعتقاد الكفري. وهو أن يعتقد اعتقاداً كفرياً، كاعتقاد النفع والضرر من

دون الله استقلالاً.

(٤) الترك. وهو أن يترك شيئاً يكون تركه كفراً، كترك الصلاة.

(٥) الشك. وهو أن يشك في صحة دين الإسلام أو أمر من أمور الدين التي

لا خلاف في ثبوتها، كأن يشك في ألوهية الله تعالى، أو في نبوة نبينا محمد

ﷺ

وقوله: «عشرة» ليس هذا على سبيل الحصر؛ فإن نواقض الإسلام كثيرة جداً، وهي راجعة إلى ما تقدم، وإنما اقتصر المصنف رحمه الله على هذه العشرة النواقض لأنها أعظمها وأشهرها وأشدّها انتشاراً بين الناس.

فائدة: من وقع في شيء من نواقض الإسلام فليس عليه أن يقضي ما فاته من صلاة وصوم وزكاة، وما عمله في حال إسلامه قبل الردة من الأعمال الصالحة لا يبطل بالردة إذا مات على الإسلام؛ لأن الله علق حبوط الأعمال بالموت على الكفر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، والمرتد أسوأ حالاً من الكافر الأصلي، ولهذا يستتاب فإن تاب ورجع إلى الإسلام قبل منه ذلك، وإلا قتل لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١) ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين إذا مات على رده، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.^(٢)

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: (عقيدة التوحيد) للعلامة الفوزان ص ٩٥.

الناقض الأول: الشرك

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. ومنه: الذبح لغير الله كمن يذبح للجن، أو للقبر.

الشرح:

قوله: «الأول: الشرك في عبادة الله تعالى» أي: الشرك في الألوهية بصرف بعض العبادات لغير الله، وإنما خص المصنف رَحِمَهُ اللهُ الشرك بالشرك في الألوهية والعبادة؛ لأنه هو الذي وقع فيه الخلاف بين الرسل وبين أممهم، وأما الشرك في الربوبية والأسماء والصفات فإنما حصل منهم في بعض الصور، ثم استدل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهذه الآية تدل على أن صاحب الشرك الأكبر لا يغفر الله له إن مات على الشرك به وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: من أشرك بالله الشرك الأكبر ومات على ذلك فالجنة عليه حرام،

وهو مخلد في نار جهنم لا يخرج منها أبداً، فدل هذا على أن الشرك الأكبر من نواقض الإسلام.

والشرك لغة هو: النصيب والتسوية، فهو اسم للشيء الذي يكون فيه مشاركة بين أكثر من واحد بحيث لا ينفرد به أحدهم.

وشرعا: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. ^(١)

والشرك قسمان:

القسم الأول: الشرك الأكبر وهو: أن تجعل لغير الله نصيباً من العبادة كنصيب الله أو أشد. **وهو نوعان:**

(١) ظاهر: كالذبح لغير الله ودعاء غير الله وغير ذلك من العبادات الفعلية أو القولية التي تصرف لغير الله.

(٢) خفي: كالخوف والتوكل على غير الله وغير ذلك من أعمال القلوب.

وهذا النوع هو الذي أراده المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** بأنه من نواقض الإسلام.

القسم الثاني: الشرك الأصغر وهو: كل قول أو فعل أطلق عليه الشرع بأنه شرك، مما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو لا يتضمن خروج العبد عن دينه. **وهو نوعان:**

(١) سواء كانت التسوية في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات.

- (١) ظاهر: كالحلف بغير الله، ولبس الحلقة والخيط ونحوهما لكونها سببا في رفع البلاء أو دفعه، ونحو ذلك من الأقوال أو الأفعال الظاهرة.
- (٢) خفي: كيسير الرياء، ونحو ذلك من الأفعال الخفية.
- والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر من وجوه وهي:

١- الشرك الأكبر يخرج صاحبه من ملة الإسلام لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ولقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] وأما الأصغر فلا يخرج صاحبه من الملة.

٢- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] ولقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وأما الأصغر فيحبط العمل الذي أشرك فيه فقط، لقوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ» رواه مسلم (١).

٣- الشرك الأكبر صاحبه حلال الدم والمال لقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا أَلْمُسْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥] ولقوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ

(١) برقم (١٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»
وأما الأصغر فصاحبه معصوم الدم والمال.

٤- الشرك الأكبر لا يغفره الله إن مات عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦] وأما الشرك الأصغر فيغفره الله تعالى لمن شاء.

٥- الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وأما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار.

٦- الشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد فصاحبه كافر بالله لقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٩٧) إِذْ دُسِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الشعراء: ٩٧-٩٨﴾ وأما الأصغر فينافي كماله الواجب فصاحبه موحد ناقص الإيمان (فاسق).

وقوله: «ومنه» أي: ومن الشرك الأكبر في الألوهية: «الذبح لغير الله» وإنما خص المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الذبح لغير الله من بين سائر أنواع الشرك بالله؛ لكثرة من يذبح لغير الله تعالى ممن يدعي الإسلام في زمانه.

والذبح لغير الله شرك أكبر، وله صورتان:

الصورة الأولى: أن يذبح بقصد التقرب لغير الله تعالى من الأصنام والقبور والسحرة والجن، ويلحق بهذا ما يذبح أمام الأمير والسلطان عند قدومه، تعظيماً له. (١)

الصورة الثانية: أن يذكر على المذبح غير اسم الله، كأن يقول: باسم المسيح، أو باسم الولي الفلاني ونحو ذلك. (٢)

وقوله: «كمن يذبح للجن» أي: تخلصاً من شرهم أو طلباً لنفعهم وخدمتهم، كالذبح للجن لفك السحر والمس، وكالذبح للجن ممن يسكن على الشواطئ لئلا يفيض البحر عليهم، وممن يسكن في المرتفعات الجبلية لئلا تنحدر الصخور عليهم ونحو ذلك، وكالذبح على عتبات البيوت إذا تم بناؤها أو عند تأسيس البيت لكي يسلم من شر الجن والحسد والعين ومثله: الذبح عند تأسيس أي شيء كحفر بئر ونحو ذلك مما يقصد به غير الله تعالى.

وقوله: «أو للقبر» أي: كالذبح للأموات والأولياء على أضرحة قبورهم إما تعظيماً لهم وإجلالاً أو لكي ينفعوه في الدنيا أو في الآخرة، ومنه: الذبح في مولد النبي ﷺ عند بعض قبور الأولياء ونحو ذلك.

(١) وهذه الصورة: [شرك في العبادة]؛ لأنه في المقاصد.

(٢) وهذه الصورة: [شرك في الاستعانة]؛ لأن الباء في التسمية للاستعانة.

الناقض الثاني: الوسائط الشريكية

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعاً.

الشرح:

هذا الناقض الثاني وهو يندرج تحت الناقض الأول؛ لكن المصنف رَحِمَهُ اللهُ أفردته لكثرة وقوعه عند من يدعي الإسلام، ولهم في ذلك شبه باطلة.

قوله: «من جعل بينه وبين الله وسائط» أي: جعل بينه وبين الله أولياء وصالحين يرفعون حاجته إلى الله، فيصرف لهذه الوسائط العبادات ومنها ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «يدعوهم» أي: يدعو تلك الوسائط ويستغيث بهم من دون الله «ويسألهم الشفاعة» أي: يطلب من هذه الوسائط أن يشفعوا له عند الله بمغفرة ذنوبه وتفريج كربوه، ودخول الجنة والنجاة من النار «ويتوكل عليهم» أي: يعتمد ويفوض أمره إلى هذه الوسائط من دون الله اعتماداً كلياً، فهذه بعض العبادات التي يصرّفونها لهذه الوسائط؛ ليرفعوا حاجته إلى الله، كما يتقرب الناس إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك

مآربهم، بحجة أنهم أولياء الله، وهم أقرب إلى الله، وأنفع من سؤال الله مباشرة، فهذه هي الوسائط الشركية المحرمة، وهي من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله- العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها- بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، ولهذا قال المصنف رَحْمَةُ اللهِ- في بيان حكم من فعل ذلك:- «كفر إجماعاً» قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللهِ: فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكرب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين. اهـ^(١) والدليل على كفره قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فبين الله تعالى أن هذه الوسائط- التي هي من أفعال مشركي قريش- لا تنفع، وحكم عليهم بالكذب والكفر، وهكذا كان كفار قريش يطلبون من هذه الوسائط الشفاعة كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فأخبر الله تعالى أن من فعل ذلك فهو من المشركين.

(١) انظر: (الواسطة بين الحق والخلق) ص ٢٢.

الناقض الثالث:

عدم تكفير من كفره الله ورسوله ﷺ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

الشرح:

هذا الناقض الثالث وقد ذكر فيه المصنف رَحِمَهُ اللهُ ثلاثة أمور وهي:

(١) قوله: «من لم يكفر المشركين» أي: من لم يعتقد كفر كل من دلت الأدلة الشرعية على كفره فهو كافر بالله تعالى لقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] ومن الكفر بالطاغوت: تكفير المشركين والبراءة منهم ومن أعمالهم، ولا يتم إيمان العبد إلا بذلك، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: كل من حكم الشرع بتكفيره فإنه يجب تكفيره ومن لم يكفر من كفره الله ورسوله، فهو كافر مكذب لله ورسوله، وذلك إذا ثبت عنده كفره بدليل شرعي.

وجاء في (صحيح مسلم)^(١) عن طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». والمراد بهذا الحديث: تكفير المشركين، والبراءة منهم، ومما يعبدون مع الله، فمن لم يكفر المشركين، وعباد القبور ممن عبد الصالحين وغيرهم، فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويجب الإسلام والمسلمين؛ فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرآن، فإن القرآن قد كفر المشركين، وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم.^(٢)

والمراد بالكافر الذي يجب تكفير من لم يكفره هو:

أ- الكافر الأصلي كاليهود والنصارى والمشركين والمجوس.

ب- والكافر المرتد بناقض من نواقض الإسلام المجمع عليها التي يكون كفره واضحا جليا لا خفاء فيه ولا شبهة.

وأما الكافر بناقض مختلف فيه كتارك الصلاة تساهلا، فهذا لا يكفر من لم يكفره؛ لأنه قد وجد خلاف بين العلماء في كفر تارك الصلاة تكاسلا لا جحودا. وهكذا إذا كان الناقض مجمعا عليه ولكنه خفي وفيه شبهة، فهذا لا يكفر من لم يكفره.

(١) برقم (٢٣).

(٢) انظر: «الدرر السنية»، (٢٩١/٩).

(٢) وقوله: «أو شك في كفرهم» أي: شك وتردد في كفر من كفره الله ورسوله ﷺ؛ لأن الشك في الحق كالتكذيب به، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: قام الإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم، أو شك. (١)

(٣) وقوله: «أو صحح مذهبهم كفر» أي: من صحح مذهب الكفار كاليهودية أو النصرانية أو الاشتراكية أو العلمانية أو غيرها من فرق الكفر والضلال، وحسّن للناس دينهم وعقيدتهم، وأنكر أن يكونوا كفارا يدخلون النار، فهو كافر؛ لأنه لم يكفر بالطاغوت، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: لا يتم الإخلاص لله إلا بنفي جميع الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ فمن آمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت فليس بمؤمن. (٢)

وقال العلامة الفوزان وَفَّقَهُ اللهُ: وهذه المسألة خطيرة جدا، يقع فيها كثير من المنتسبين إلى العلم، فمن لم يكفر المشركين كأن يقول: أنا ما عليّ، أنا والحمد لله ما عندي شرك ولا أشركت بالله لكن الناس ما عليّ منهم، لا أكفرهم. نقول له: أنت ما عرفت الدين، ما عرفت ما هو التوحيد، وما هو الشرك، يجب أن تكفر من كفره الله، ومن أشرك بالله عز وجل، تتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه:

(١) انظر: (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) (٢/٦٠٣).

(٢) انظر: (تفسير سورة البقرة) عند الآية.

﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿﴾، أو صحح مذهبهم، فهذا أشد؛ لأنه يقول: الذي يعملونه ما هو شرك، هذه إنما هو اتخاذ الوسائل ويدافع عنهم.^(١)

(١) انظر: (شرح نواقض الإسلام). قلت: ومن ذلك الدعوة إلى وحدة الأديان، فإنها ردة ظاهرة، جاء في (فتاوى اللجنة الدائمة) (٢٨١/١٢) ما نصه: الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله -، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعا، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

الناقض الرابع:

اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الشرح:

هذا الناقض الرابع من نواقض الإسلام ذكر فيه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، ولكن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من دقة ألفاظه وسعة علمه قيد المسألة بالاعتقاد، خلافا لما عليه الحماسيون اليوم الذين يطلقون التكفير على كل من حكم بغير ما أنزل الله، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة. اهـ^(١)، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «من اعتقد» أي: من آمن وأضمر في

(١) انظر: (شرح ثلاثة الأصول) ص ١٥٩.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

قلبه جازما بـ «أن غير هدي النبي ﷺ» أي: غير دينه وطريقته التي سار عليها في الدعوة إلى الله «أكمل من هديه» أي: أكمل وأفضل وأحسن من هدي النبي ﷺ، كمن يقول: هدي رسول الله ﷺ لا يصلح لهذا الزمان، ولا يصلح إلا للزمان الأول، فهو كافر؛ لأنه يناقض [شهادة أن محمدا رسول الله] التي مضمونها أن هديه ﷺ أكمل الهدي وأفضله؛ لأنه رسول من الله ومؤيد بالوحي، وهو أيضا مكذب لله تعالى القائل في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهو مكذب لرسول الله ﷺ القائل: «فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(١). قال شيخ الإسلام رحمه الله: من ظن أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته. اهـ^(٢)

وقوله: «أو أن حكم غيره» أي: ومن اعتقد أن حكم غير النبي ﷺ «أحسن من حكمه» أي: أفضل من حكم النبي ﷺ أو مساو لحكمه ﷺ «كالذي يفضل حكم الطواغيت» وهو كل حكم خالف الكتاب والسنة «على حكمه» أي: على حكم النبي ﷺ وشريعته «فهو كافر»؛ لأنه مكذب بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧) عن جابر، وبنحوه في البخاري برقم (٧٢٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: (مجموع الفتاوى) (٥٨/٢٧).

شرح الواجبات المتحتيات البعثة

الْحَكِيمِينَ ﴿التين: ٨﴾ فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر لأنه مكذب للقرآن.

وأما من حكم بغير ما أنزل الله بدون اعتقاد لما تقدم، بل اعتقد أنه يجب عليه الحكم بما أنزل الله، ولكنه عدل عن ذلك عصياناً (أي: أنه معترف بأنه يستحق العقوبة)، إما لهوى في نفسه، أو طمعا في مال أو رشوة، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، فهذا ليس بكافر الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإنما هو فاسق بذلك، وتارك لكمال التوحيد الواجب-الذي يآثم تاركه-، وهو تحت المشيئة^(١).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: كفر دون كفر، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، لَكِنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعُصَاةِ^(٢).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن لم يحكم بما أنزل الله، لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم

(١) انظر: (مجموع فتاوى) ابن باز (١/١٣٢) و(٥/٣٥٥).

(٢) انظر: (منهاج السنة) (٥/١٣١). وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه بخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ، له حكم المخطئين. انظر: (مدارج السالكين) (١/٣٤٦)، و(الروح) (١/٣٦٣).

بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم^(١).

(١) انظر: (مجموع الفتاوى) (١٤٤/٢). وقال العلامة الفوزان **حَفَظَهُ اللَّهُ**: من اختار حكم الطاغوت على حكم الله أو سوى بينهما وقال: هما سواء، أو قال: تحكيم الطاغوت جائز، أو حكم بالشرعية في بعض الأمور دون بعض؛ فهذا كافر بالله-كالذين يحكمون الشريعة في الأحوال الشخصية فقط-. وأما من حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه-وهو يعترف ويعتقد أن حكم الله هو الحق، وحكم غيره باطل، ويعترف أنه مخطئ ومذنب-فهذا يكفر كفرا أصغرا لا يخرج من الملة. انظر: (إعانة المستفيد) (١٣٦/٢).

الناقض الخامس:

كراهية شيء مما جاء به النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله:

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأَحَبُّ أََعْمَلَهُمْ﴾

[محمد: ٩].

الشرح:

هذا الناقض الخامس وهو: «من أبغض» أي: كره ومقت «شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ» أي: من الشرائع والأحكام القولية أو الفعلية، سواء كان مستحباً كالسواك، أو واجباً كالصلاة «ولو عمل به» أي: ولو عمل بذلك الشرع والحكم الذي كرهه وأبغضه «كفر»؛ لأن دين الإسلام مبني على تعظيم رسول الله ﷺ وتعظيم شرعه، وبغضه لشيء من شرع الله منافٍ لذلك، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأَحَبُّ أََعْمَلَهُمْ﴾ قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: فمن أبغض شريعة الرسول ﷺ، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه كافر، خارج عن الدين

لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ ولا حبوط للعمل إلا بالكفر، فمن كره فرض الصلوات فهو كافر ولو صلى، ومن كره فرض الزكاة فهو كافر ولو زكى، لكن من استثقلها مع عدم الكراهة فهذا فيه خصلة من خصال النفاق لكنه لا يكفر. وفرق بين من استثقل الشيء ومن كره الشيء. اهـ.^(١)

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] فالمنافقون يكرهون الإسلام لذاته ويكرهون ما جاء به الرسول ﷺ لكونه من شرع الله ودينه، فهذه الكراهية كراهية اعتقاد، وهي التي من نواقض الإسلام، وأما من يجد المشقة والمؤنة المالية بفعل بعض الشرائع؛ فإن هذه الكراهة طبيعية يعذر بها الإنسان، وليست هي من نواقض الإسلام، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المسلمين لا يكرهون ما فرضه الله عليهم؛ وإنما يكرهون القتال بمقتضى الطبيعة البشرية؛ وفرق بين أن يقال: إننا نكره ما فرض الله من القتال؛ وبين أن يقال: إننا نكره القتال؛ فكراهة القتال أمر طبيعي؛ فإن الإنسان يكره أن يقاتل أحداً من الناس فيقتله؛ فيصبح مقتولاً؛ لكن إذا كان هذا القتال مفروضاً علينا صار محبوباً إلينا من وجه، ومكروهاً لنا من وجه

(١) انظر: (تفسير سورة الكوثر).

شرح الواجبات المتحتمات للعرفات

آخر؛ فباعتبار أن الله فرضه علينا يكون محبوباً إلينا؛ ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتون إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصرون أن يقاتلوا؛ وباعتبار أن النفس تنفر منه يكون مكروهاً إلينا. ^(١)

(١) انظر: (تفسير سورة البقرة) عند الآية.

الناقض السادس:

الاستهزاء بشيء من دين الإسلام

قال المصنف رحمه الله:

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللّٰهِ وَءَايِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦].

الشرح:

هذا الناقض السادس وهو: «**من استهزأ**» أي: سخر واستهان وخاض في شيء من الدين على وجه اللعب والمزح والضحك، **والاستهزاء نوعان:**

(١) الاستهزاء الصريح كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية.

(٢) الاستهزاء غير الصريح، ويكون بغمز العين وإخراج اللسان ومد الشفة... إلخ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

يَصْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ قال العلامة الفوزان وَفَقَّ اللَّهُ: وهذا النوع بحر لا ساحل له. (١)

وقوله: «بشيء من دين الرسول ﷺ» أي: من دين الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام، وكإعفاء اللحية وتقصير الثوب إلى نصف الساقين وهو يعلم ثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ «أو ثوابه» أي: الثواب الذي جعله الله ورسوله ﷺ على بعض الأعمال الصالحة، كالاستهزاء بالجنة وما أعده الله لأوليائه فيها «أو عقابه» أي: العقاب الذي جعله الله ورسوله ﷺ على بعض الأعمال المحرمة كالاستهزاء بالنار وما أعده الله لأعدائه فيها، أو الاستهزاء بحد الزنا والخمر وقطع يد السارق ونحو ذلك، سواء كان الاستهزاء بالقول أو بالفعل أو كان بالإيماء والإشارة بالعين وإخراج اللسان، فإن كل ذلك «كفر»؛ لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة، فهو من نواقض الإسلام بإجماع المسلمين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: من استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطنا وظاهرا (٢).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستهزاء والهزل بشيء من أمور الدين أشد من الكفر المجرد؛ لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء، فإن الكفار نوعان:

(١) معرضون. (٢) ومعارضون.

(١) انظر: (عقيدة التوحيد) ص ١١٤.

(٢) انظر: (الإيمان الأوسط) ص ١٢٠.

فالمعارض المحارب لله ورسوله، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفرا وأعظم فسادا (أي: من الكافر المعرض)، والهازل بشيء منها من هذا النوع (أي: المعارض). اهـ

والاستهزاء بالله أو برسوله ﷺ أو بالقرآن كفر أكبر بلا خلاف بين العلماء «والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من سب الله كفر سواء كان مازحا، أو جادا؛ لهذه الآية^(١).

ولا فرق في كفر المستهزئ بين أن يكون مازحا لا يقصد حقيقة ما يقوله، وبين أن يكون قاصدا لحقيقة الاستهزاء، قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزأ بالله، أو بكتابه أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعا. اهـ^(٢)

وأما الاستهزاء بالعلماء أو الدعاة والقرءاء فينقسم إلى قسمين:

(١) انظر: (الصارم المسلول) ص ٥١٣.

(٢) انظر: (تيسير العزيز الحميد) ص ٣٤٥.

اللَّهُ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠] أي: إن رضي باستهزائهم وأقر ذلك، فهو كافر مثلهم.

الناقض السابع: السحر

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف. فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِلَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الشرح:

السحر هو: هو تأثير الشياطين في بدن أو عقل الإنسان عند التقرب إليهم^(١).
والسحر كفر بالله تعالى لأمرين:

١) أن الساحر لا يتوصل إلى السحر إلا بالتقرب إلى الشياطين وعبادتهم، كالسجود والذبح لهم، أو دعائهم والاستعانة والاستغاثة بهم، أو امتهان

(١) وهذا أحسن تعريف للسحر، وعرفه الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ بقوله: هو عزائم ورُقَى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه -أي بإذن الله القدري- اهـ. واعترض على هذا التعريف بأن الرقى والعزائم وسيلة إلى السحر، وليست هي السحر. **انظر:** «الكافي» (٦٤/٤)، و«أضواء البيان» (٤١/٤).

القرآن كالدوس والتغوط والبول عليه، أو كتابته بدم الحيض ونحو ذلك من الأعمال الكفرية.

(٢) أن السحر ادعاء لعلم الغيب ومشاركة الله في ذلك، وهو من خصائص الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقوله: «ومنه» أي: ومن السحر «الصرف» أي: سحر الصرف، وهو: أن يصرف قلب الرجل عما يهواه ويحبه، كأن يصرف قلب الرجل عن محبة زوجته إلى العداوة والبغضاء—بإذن الله—.

وقوله: «والعطف» أي: سحر العطف، وهو: أن يعطف الرجل عما لا يهواه ولا يحبه إلى محبته والتعلق به، كأن يعطف قلب الرجل على محبة امرأة حتى يكون منقادا لها في كل شيء تأمره به^(١).

وقوله: «فمن فعله» أي: من فعل السحر بنفسه وبأمره فعله «أو رضي به» أي: فعله غيره، ولكنه رضي به وأقره على السحر فقد «كفر»؛ لأن الرضا بالكفر كفر «والدليل» أي: على كفر الساحر «قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾» وهذه الآية بتمامها تدل على تحريم السحر وكفر من تعلمه وعمل به من عدة أوجه:

(١) أي: ليس حبا طبعيا ناتجا عن الأسباب المعتادة، بل هو تأثير سحري، يجعل في المسحور حبا مفرطا تخرج تصرفاته عن حدود العقل والحياء والحشمة.

- (١) قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾
 أي: ما عمل سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السحر؛ لأن السحر كفر بالله.
- (٢) قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي: أن الشياطين كفروا بسبب تعليمهم الناس السحر، فكل من تعلَّم السحر أو علَّمه غيره فإنه يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجيه.
- (٣) قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: يحذرانه ويقولان له: لا تتعلم السحر، فإنك بمجرد تعلمه تكون كافراً، سواء عملت به أو لا.
- (٤) قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة، فدل على أنه باع دينه وتوحيده بمقابل السحر.
- (٥) قوله: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: ليس له في الآخرة من نصيب، ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر عياداً بالله تعالى.
- (٦) قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ أي: أن السحر ينافي الإيمان والتقوى، ونفي الإيمان عنه بالكلية يدل على كفره.

(٧) ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩] قال

العلامة الشنقيطي رحمه الله: عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة:

[لا يفلح] يراد بها الكافر. اهـ

وعقوبة الساحر: القتل على أي حال كان إذا رُفِعَ إلى السلطان، فإن كان مسلما فيقتل ردة إن لم يتب، أو تعزيرا إن تاب من الكفر (السحر)، والذي يباشر قتله هو ولي الأمر والجهات المختصة بذلك، وأما في الآخرة فعقوبته الخلود في النار أبداً إذا لم يتب؛ لأنه كافر.

وقد صح قتل الساحر عن ستة من الصحابة رضي الله عنهم وهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجندب الخير، وقيس بن سعد رضي الله عنهم، وصح عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

وأما من يستخدم الأدوية والعقاقير والأبخرة والتدخين، أو يستخدم التخيل، بدون استعانة بالشياطين ولا بالسحرة والكهان المشعوذين، فإنه لا يكفر بمجرد ذلك، إلا إن صَحِبَ ذلك اعتقاد آخر يوجب كفره، ولكنه يعزر تعزيراً بليغاً، بالضرب والسجن وقد يصل إلى قتله، ولو قُتِلَ في هذه الحال فإنه يقتل حداً لا ردةً.

ولا يجوز الذهاب إلى السحرة والعرافين والكهنة لحلّ وفكّ السحر، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الشُّرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ»^(١) والنُّشْرَة - بضم النون - هي: حل السحر عن المسحور عن طريق السحر، والتعاويز الشريكية، والواجب على الإنسان حل السحر بالقرآن والرقية الشرعية، أو الأدوية المجربة المباحة.

(١) صحيح:

أخرجه أحمد (١٤١٣٥) ومن طريقه أبو داود (٣٨٦٨) قال: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عقال بن معقل، سمعت وهب بن منبه، يحدث عن جابر بن عبد الله. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، ومنهم من أعل الحديث بالانقطاع؛ لأن وهب بن منبه لم يسمع من جابر، قال ابن معين: لم يلق جابر بن عبد الله إنما هو كتاب وقال في موضع آخر: هو صحيفة ليست بشيء. قلت: ولكن قد أثبت سماعه منه الإمام مسلم كما في (الكنى)، والمثبت مقدم على النافي.

الناقض الثامن:
معاونة المشركين على المسلمين

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثامن: مظاهره المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

الشرح:

هذا الناقض من النواقض المهمة التي أشكلت على كثير من الشباب، وخاض فيها بعض الناس بدون علم؛ فكفروا بحكام المسلمين.

قوله: «مظاهرة المشركين» أي: معاونة ومساعدة وموالاتة المشركين «ومعاونتهم على المسلمين» أي: بنصرتهم وتأيدهم بالمال والنفس والعتاد ونحو ذلك مما يدل على محبتهم لأجل دينهم؛ فإن هذا من نواقض الإسلام ومن الكفر المخرج من الملة «والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: فإنه منهم في الكفر، وهذه هي الموالاتة الكبرى، فإن الموالاتة للمشركين والكفار على

قسمين:

القسم الأول: الموالاتة الكبرى.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

وضابطها: مودة ومحبة الكافرين لأجل دينهم وما هم عليه من العقائد الباطلة.

ولها صور كثيرة، ومنها:

- (١) الرضا بكفرهم وما هم عليه من الشرك بالله.
- (٢) عدم تكفيرهم مطلقاً، أو الشك في كفرهم.
- (٣) مدح دينهم، وتصحيح مذهبهم، كأن يقول: هم على حق.
- (٤) الفرح بانتصارهم وظهورهم على الإسلام والمسلمين ومعاونتهم على ذلك.

وحكمها: أنها موالاة مخرجة من الملة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ

(١) قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: فإنه منهم في الكفر إذا كانت الموالاة لأجل الدين، وأما إذا كانت الموالاة لأجل الدنيا فيكون المعنى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: في استحقاق العذاب. (زاد المسير) (١/ ٥٥٨).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

تَقْنَةً ﴿[آل عمران: ٢٨] قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب.

النوع الثاني: الموالاة الصغرى. وهي صغرى باعتبار الأولى، وإلا فهي في نفسها أكبر الكبائر، لكنها لا تخرج صاحبها من الملة.

وضابطها: إظهار المحبة لهم والقرب منهم وتقديم بعض الخدمات لهم، لا لأجل دينهم، وإنما من أجل مصالح دنيوية كالمال والجاه والمنصب وغير ذلك من الأمور الدنيوية، مع بغضهم وبغض ما هم عليه، وعدم مناصرتهم ومعاونتهم على المسلمين.

وحكمها: أنها كبيرة من الكبائر لا يخرج صاحبها من الإسلام، والدليل على أن هذه الموالاة لا يخرج صاحبها من دين الإسلام قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١] فإنها نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١).

(١) جاء في البخاري (٦٩٣٩) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُبَيْرُ وَالْمُقَدَّادُ فَقَالَ: «اتُّوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا ظُعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَأَنْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا حَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقَيْنَ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، =

شرح الواجبات المتحتيات العرفية

وجه الدلالة من هذه الآية على أنه لا يكفر بمجرد ذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الله ناداهم باسم الإيمان مع إثبات وجود الموالاة منهم للكفار، بإلقاء المودة إليهم.

الوجه الثاني: أنها نزلت في حاطب رضي الله عنه وهو من أهل الإيمان ومن شهد بدرا.

الوجه الثالث: أن رسول الله ﷺ استفصل منه ولم يحكم عليه بالكفر مباشرة فقال: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» فاستفسر منه: هل هذه الموالاة عن حب لهم ولدينهم ونصرة لهم ولدينهم؟ فقال: لا، وإنما أراد أن يُقدم لهم نعمة يحمون بها قرابته.

فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ -كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا- وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ هُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرَبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) للعلامة الوادعي رحمه الله.

الناقض التاسع:

اعتقاد جواز الخروج عن شريعة محمد ﷺ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر.

الشرح:

هذا الناقض التاسع من نواقض الإسلام أراد به المصنف رَحِمَهُ اللهُ الرد على غلاة الصوفية الذين يعتقدون أن بعض الأولياء يجوز له الخروج عن شريعة نبينا محمد ﷺ بحيث لا يطيعه ولا يتبعه، ولا يمثل أوامره؛ لكونه بلغ درجة اليقين، التي هي في اعتقادهم أن من بلغها سقطت عنه التكاليف ويتأولون قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] فرد عليهم المصنف رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «من اعتقد أن بعض الناس» أي: كالأولياء والصالحين «يسعه» أي: يجوز له ويمكنه «الخروج عن شريعة محمد ﷺ» أي: لا يطيعه ولا يأتمر بأمره ﷺ، ولا

شرح الواجبات المتحتات العرفية

ينتهي عن نبيه «كما وسع الخضر» وهو نبي من الأنبياء^(١) قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضِرَاءَ»^(٢) والخضر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يكن من قوم موسى فلذلك وسعه «الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» فمن اعتقد أنه يجوز له الخروج عن شريعة محمد ﷺ «فهو كافر»؛ لأنه يجب على كل مسلم اتباع ما جاء به النبي ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ؛ لأن هذا من خصائصه ﷺ أنه بعث إلى جميع الخلق من الجن والإنس، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَايَهُمُ الْنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ولحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ

(١) وهذا مذهب جمهور العلماء أن الخضر نبي وليس مجرد رجل صالح، أو ولي من الأولياء، وذلك لأدلة كثيرة منها ما يلي:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ [الكهف: ٨٢].
- ٢- قوله تعالى عن موسى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُسْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فكيف يسأل موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ النبي الكريم من ولي أن يعلمه، وكيف يكون الولي أعلم من الرسول، بل لا يكون الولي وليا إلا باتباع ما جاءت به الرسل.
- ٣- قوله تعالى: ﴿ءَايَتُنْهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وينبغي اعتقاد كونه نبيا لثلا يتدرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي حاشا وكلا. انظر: (فتح الباري) (١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» **قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:** من اعتقد أن الله رجالا خواص لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى، فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام. ^(١)

وقال: ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر. ^(٢)

بخلاف موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - وبقية الأنبياء - فإنه إنما بعث إلى قومه خاصة كما قال النبي ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً» وفي رواية مسلم: «وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ»، والخضر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام لم يكن من قوم موسى فلذلك وسعه الخروج عن شريعته؛ لأنه لم يبعث إليه.

ثانيًا: أن الخضر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام كان نبيًا على دين وشريعة غير شريعة موسى، ولهذا أخبر أن ما فعله إنما هو من وحي الله تعالى له، بدليل قوله تعالى فيما أخبر عنه أنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ

(١) انظر: (مجموع الفتاوى) (١٠/٤٣٤-٤٣٥).

(٢) انظر: (مجموع الفتاوى) (٢٨/٥٢٤).

عِنْدَنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]، وأما بعد موت نبينا ﷺ فقد انقطع الوحي، فليس لأحد أن يزعم أنه يوحى إليه كالخضر.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: [اليقين] أي: الموت، والدليل على ذلك قوله تعالى -إخبارا عن أهل النار أنهم قالوا-: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي: حتى جاءنا الموت.

قال: وَيُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى تَخْطِئَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَقِينِ الْمَعْرِفَةَ، فَمَتَى وَصَلَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ عِنْدَهُمْ، وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ وَجَهْلٌ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا هُمْ وَأَصْحَابُهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ وَأَعْرَفُهُمْ بِحَقِّقِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا أَعْبُدُ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عِبَادَةً وَمَوَاطِبَةً عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ إِلَى حِينِ الْوَفَاةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِالْيَقِينِ هَاهُنَا الْمَوْتُ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ. اهـ^(١)

فعلم بهذا أن ما يزعمه بعض غلاة الصوفية أنه يصل إلى حالة ليس بحاجة إلى اتِّبَاعِ الرِّسْلِ، بل يأخذ عن الله مباشرة، ويقول: إن الرسل إنما هم للعوام، وأما الخواص فلا يحتاجون إلى الرسل؛ لأنهم يعرفون الله ويصلون إليه مباشرة، فهذا القول كفر بالله تعالى، وناقض من نواقض الإسلام.

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم) عند الآية من سورة الحجر.

الناقض العاشر:

الإعراض عن دين الله علماً وعملاً

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾

[السجدة: ٢٢].

الشرح:

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الناقض في بيان كفر من أعرض عن دين الله إعراضاً كلياً وهو: الذي يتضمن الإعراض عن أصول الدين التي يدخل بها العبد في الإسلام.

وأما الإعراض الجزئي الذي يُعرض فيه الإنسان عن بعض الواجبات وعن بعض المعاملات والأحكام، وعن ترك بعض المحرمات، بدون استحلال قلبي، وإنما مجرد تهاون وكسل فهذا لا يكفر به صاحبه ولا يخرج به عن ملة الإسلام؛ وقد يصدر هذا من بعض المسلمين، وهو على خطر عظيم.

قوله: «الإعراض عن دين الله تعالى» أي: إعراضاً كلياً بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ وشرعه، فلا يصدق له ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به، كما ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١)، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: «لا يتعلمه» أي: لا يتعلم دين الإسلام رغبة عنه لا كسلاً وعجزاً «ولا يعمل به» أي: ورفض العمل بدين الإسلام مع قدرته وتمكنه من ذلك، فهذا كافر «والدليل» أي: على كفره: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها. اهـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

(١) انظر: (مدارج السالكين) (٣٤٦/١).

خاتمة

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً. فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

الشرح:

ختم المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذه النواقض العشرة بقوله: «ولا فرق في جميع هذه النواقض» أي: لا فرق في جميع هذه النواقض التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ وغيرها من النواقض لا فرق فيمن فعل واحدا منها متعمدا غير متأول ولا جاهل و«بين الهازل» أي: المازح وهو الذي لا يقصد حقيقة ما يقوله؛ لأن المزح ليس من موانع التكفير؛ لأنه وإن كان لا يقصد حقيقة ما يقوله، لكنه كان قاصدا للتكلم بذلك اللفظ، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيْمَنِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]، فلم يعذرهم الله تعالى على هزلهم ومزحهم؛ لأنَّ ما قالوه كان باختيارهم وبإرادتهم.

وقوله: «والجاد» وهو الذي يقصد حقيقة ما يقوله، أي: فلا فرق بينه وبين غيره ممن لا يعذر بفعل أحد هذه النواقض.

وقوله: «والخائف» وهو الذي يخاف على نفسه أو ماله أو بلده أو دنياه خوفا لا يبلغه حد الإكراه، فإنه لا يعذر إذا فعل أحد هذه النواقض، فلا يستثنى من هذا الأصناف شيء «إلا المكره» أي: فإنه معذور بالإكراه قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] سواء كان ذلك الإكراه في الأقوال أو في الأفعال عند جماهير العلماء.

والإكراه هو: إرغام العبد على ما لا يريده.

ولا يسمى إكراهاً إلا إذا توفرت فيه ستة أمور وهي:

- (١) أن يكون المكره قادراً على تحقيق ما تهدد به.
- (٢) أن يكون المكره عاجزاً عن أن يدافع عن نفسه؛ لا بمقاومة شخصية، ولا استغاثة بغيره، ولا فراراً من المكره؛ فمتى استطاع أن يقوم بأحد هذه الأمور ولم يفعله لم يكن مكرهاً.

- (٣) أن يكون الأمر المتهدد به من الأمور المحرمة على المكروه. (١)
- (٤) أن يكون المتهدد به عاجلاً ويغلب على ظن المكروه بأن المكروه سيوقع ما هدد به في الحال، إن لم يفعل ما أمره به.
- (٥) أن يكون الأمر المتهدد به القتل أو ما دون القتل مما يلحقه به ضرر لا يمكنه تحمله كالتعذيب والضرب الشديد.
- (٦) أن يكون الأمر المتهدد به لا تعلق له بحق الآخرين الذي لا يمكن تعويضه.
- وقوله: «وكلها» أي:** هذه النواقض العشرة **«من أعظم ما يكون خطراً»** لأن الإنسان إذا فعل واحدا منها فقد كفر بالله وخرج من الإسلام، وكان من أهل النار خالدا مخلدا فيها أبدا.
- وقوله: «وأكثر ما يكون وقوعاً» أي:** فالمصنف رَحِمَهُ اللهُ إنما اقتصر على هذه النواقض العشرة فقط؛ لكثرة وقوعها وانشارها بين الناس **«فينبغي للمسلم»** أي: يجب على المسلم **«أن يحذرهما»** أي: يتيقظ ويتحرز من الوقوع فيها **«ويخاف منها على نفسه»** أي: فلا يزكي المسلم نفسه بأنه قد عرف الإسلام، فلا يمكن أن يخرج

(١) قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وأما الإكراه بحق، فهو غير مانع من لزوم ما أكره عليه، فلو أكره الحربي على الإسلام فأسلم، صح إسلامه، وكذا لو أكره الحاكم أحدا على بيع ماله ليوفي دينه، أو أكره المؤلي بعد مدة الإيلاء وامتناعه من الفئنة على الطلاق. اه انظر: (جامع العلوم والحكم) (٣٩).

شرح الواجبات المتحتمات للعرفات

منه، بل بكلمة واحدة قد يخرج من الإسلام ويكون من أهل النار «نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه».

أنواع التوحيد

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

التوحيد ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية: وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم. وهو توحيد الله بفعله تعالى. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]. والآيات على هذا كثيرة جداً.

الشرح:

قوله: «التوحيد» مصدر وَّحَد يُوْحِد تَوْحِيدًا إِذَا جَعَلَهُ وَاحِدًا أَي: فَرَدًّا، فَهِيَ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِرَادِ.

وفي الشرع هو: إفراد الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

شرح الواجبات المتحتات بالعرف

وهو كما قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: «ثلاثة أنواع» أي: ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، عرفها العلماء بالاستقراء والتتبع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كقول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]^(١) وكسورة الفاتحة وغيرها.

وهذه الأنواع الثلاثة متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، لم يكن موحدًا، وما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب.

فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات بلا عكس^(٢)، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يستلزمان توحيد الألوهية^(٣).

(١) فقلوه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ فهذا توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ فهذا توحيد الأسماء والصفات.

(٢) لأن من أقر بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة، يتضمن إقراره هذا بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ لأنه ما أفرد بالعبادة إلا لإقراره بذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وأما من أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات فلا يتضمن إقراره هذا بأن الله هو المستحق للعبادة، لأنه قد يقر بذلك ويعبد غير الله زعمًا منها أنها تقربه إلى الله أو تشفع له عند الله كما هو حال كفار قريش.

(٣) لأن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، يلزمه ذلك اضطرابًا أن يفرد بالعبادة، وإلا كان إقراره حجة عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا =

ثم شرع المصنف رَحِمَهُ اللهُ في بيان هذه الأنواع.

النوع الأول: توحيد الربوبية

قوله: «الأول: توحيد الربوبية: وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ» أراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ أن يبين بعض أحكام توحيد الربوبية، وأما تعريفه فسيأتي بيانه، فذكر رَحِمَهُ اللهُ أن هذا التوحيد قد أقر به مشركوا قريش في زمان رسول الله ﷺ ولم ينكروه، بل أقر به سائر طوائف الكفر، فهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] قد أقر الله تعالى بهذا التوحيد كما قال الله في حقه قائلا عن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَشْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] بل حتى إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين يقول: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقد نبه على هذه القاعدة المذكورة في دلالة التضمن والالتزام بين أقسام التوحيد شيخ الإسلام كما في (مجموع الفتاوى) (٢٣/١).

شرح الواجبات المتحتات البعثة

وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض ورهبه ورب ما فيهن ورازقهن، ولهذا لم ترد الآيات فيه - في الغالب - إلا بصيغة استفهام التقرير، نحو: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]؟ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]؟ ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبُ إِنْ أَمَرْتُ أَنْ آكُوتَ أَوْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُسْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]؟ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مَتَّ عَلِيمٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]؟ فهذا الاستفهام استفهام تقرير لهم لأنهم كانوا يقولون به^(١).

وإقرار المشركين بتوحيد الربوبية، لا ينفعهم شيئاً «ولم يدخلهم في الإسلام»؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد بأنواعه الثلاثة، فمن صرف بعض العبادات لغير الله فليس بمسلم وإن أقر بأن الله هو الخالق الرازق المدبر؛ فلا

(١) قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه. (أضواء البيان) (٢١/٣).

يكفي هذا التوحيد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية، فإن الكفار والمشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد فلم يدخلهم ذلك في الإسلام «وقاتلهم رسول الله ﷺ» أي: قاتل رسول الله ﷺ كفار قريش في زمانه؛ لأنهم لم يفرّدوا الله تعالى بالعبادة «واستحل دماءهم وأموالهم» وهذا دليل كفرهم بالله تعالى.

وقوله: «وهو توحيد الله بفعله تعالى» هذا هو تعريف توحيد الربوبية وهو: إفراد الله تعالى بأفعاله، ومنها الخلق والملك والتدبير وأنه المحيي المميت والنافع الضار وغير ذلك من معاني ربوبيته سبحانه وتعالى.

* فـدليل الخلق قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وتقديـم ما حقه التأخير يفيد الحصر^(١).

(١) وأما قول الله تعالى: ﴿مَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» فظاهر هذه الأدلة تدل على أن هناك من يشارك الله في الخلق؟ أجاب العلماء عن ذلك بأن يقال: إن الخلق نوعان: أ- خلق إيجاد من العدم وهذا خاص بالله لا يمكن أن يشاركه فيه أحد.

ب- خلق تحويل وتصيير الشيء من حالة إلى حالة أخرى فهذا قد يطلق على المخلوق وليس هو بخلق حقيقة وإنما سمي خلقا باعتبار التكوين والتحويل. وأما الحديث فهو من باب التحدي والتعجيز لهم فلا يقدرّون على خلق ذلك ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنُخْلُقُوا ذُبَابًا =

شرح الواجبات المتحتات العرفية

* ودليل الملك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾

[الحشر: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]

وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر^(١).

* ودليل التدبير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الرعد: ٢] وقوله

تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾

[يونس: ٣١]^(٢).

وقوله: «والدليل» أي: والدليل على هذا التوحيد، وعلى أن كفار قريش كانوا

يقرون به **«قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ**

وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ.﴾ [الحج: ٧٣].

(١) وأما قول الله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ [النور: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المعارج: ٣٠]؟ فالجواب عنه من وجهين:

أ- أن ملك الله تام مطلق وملك المخلوق قاصر لما تحت يده فقط.

ب- أن المخلوق لا يستطيع أن يتصرف في ملكه كيفما شاء لا شرعا ولا قدرا، فأما شرعا فلأنه

لا يستطيع بيع الدرهم مثلا بدرهمين لأنه محرم عليه، وأما قدرا فلأنه لا يستطيع شفاء عبده

ومملوكه إذا مرض، ولا يستطيع إحياءه إذا مات.

(٢) وأما تدبير المخلوق؟ فالجواب عنه:

أ- أنه تدبير قاصر لأنه لا يستطيع أن يدبر إلا ما كان تحت يده فقط.

ب- أن تدبيره أيضا خاضع لتدبير الله فلا يجوز له أن يدبر إلا على وفق شرع الله. انظر: القول

المفيد، ص ٨.

شرح الواجبات المتحتبات بالعرفان

وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ **اللَّهُ** ❖ أي: فسيقولون الله هو الذي يفعل ذلك، فهم مقرون بتوحيد الربوبية، ولم ينازعوا فيه ولا امتنعوا من الإقرار به، ولهذا احتج تعالى عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، فقال ❖ **فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ** ❖ أي: أفلا تتقون الشرك بالله في عبادته **«والآيات على هذا كثيرة جداً»** منها قوله تعالى: ❖ **وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ❖ [الزخرف: ٩] وقوله تعالى: ❖ **قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ❖ (٨٤) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ❖ (٨٥) **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ❖ (٨٦) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوْبُ** ❖ (٨٧) **قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ❖ (٨٨) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** ❖ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وإقرار كفار قريش وغيرهم بتوحيد الربوبية لا يعني هذا أنهم لم يشركوا في الربوبية أبداً؛ وذلك لأن كل من أشرك في توحيد الألوهية فقد وقع منه الشرك في توحيد الربوبية ولو ببعض جزئياته، فجميع أنواع التوحيد متلازمة فينافيها كلها ما ينافي نوعاً منها، فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية. (١)

(١) قال حافظ الحكمي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: مثال ذلك: دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله شرك في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر يدل على أنه يعتقد أن ذلك الشخص قادر على قضاء حاجته، فهذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته أو أنه سبب في ذلك، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه =

النوع الثاني: توحيد الألوهية

قال المصنف رحمه الله:

الثاني: توحيد الألوهية: وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرغبة والإنابة، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

الشرح:

قوله: «الثاني: توحيد الألوهية: وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه» أي: هذا التوحيد هو التوحيد الذي أنكره المشركون «في قديم الدهر وحديثه» فهذا التوحيد هو دعوة الأنبياء والرسول، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وهو معنى قول: لا إله إلا الله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل،

على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعا محيطا بجميع المسموعات، لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات. «أعلام السنة المنشورة» ص ٤٠-٤١.

وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، فأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال، بحيث إن كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد^(١)، فمن أجل ذلك صرف المصنف رَحِمَهُ اللهُ العناية في بيانه وتقريره في غير موضع من كتبه.

وقوله: «هو توحيد الله بأفعال العباد» وهي العبادات والطاعات كلها لله تعالى، فهذا هو تعريف توحيد الألوهية وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة، فالعبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا

(١) فالقرآن كله توحيد لأنه ثلاثة أقسام: (١): إما خبر عن الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، ودعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه وهذا هو التوحيد بأقسامه الثلاثة. (٢): وإما أوامر ونواهي وهي الأحكام الشرعية وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته. (٣): وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، وعن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يلج بها في العقبي من الوبال، فهذا هو القصص وهو جزاء توحيده وجزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه. انظر: (مجموع الفتاوى) (٢٠٧/١٧) و(مدارج السالكين) (٤١٧/٣) و(تيسير العزيز الحميد) ص ١٩ وما بعدها.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿[الجن: ١٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. ثم ذكر المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ جَمْلَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ وَهِيَ:

(١) «الدعاء» وهو: سؤال الله تعالى بلسان الحال كالصلاة والصيام والحج.

ويسمى هذا: [دعاء العبادَة]، ولا يجوز صرفه لغير الله، ومن صرف منه شيئاً لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر.

أو كان سؤال الله تعالى بلسان المقال كأن يقول: اللهم اغفر لي وارحمني. ويسمى هذا: [دعاء المسألة]، وحكم صرفه لغير الله، فيه تفصيل:

أ- إذا كان السؤال للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر.

ب- وإذا كان السؤال للمخلوق فيما يقدر عليه فيجوز بشروط أربعة وهي:

(١) أن يكون المدعو حياً، فخرج بهذا الشرط: الميت.

(٢) أن يكون المدعو حاضراً، فخرج بهذا الشرط: الغائب.

(٣) أن يكون المدعو قادراً، فخرج بهذا الشرط: العاجز.

(٤) أن يعتقد أن المدعو مجرد سبب غير مؤثر بذاته.

فإن اعتقد أن لهذا المدعو تصرفاً خفياً في الكون ويده جلب المنافع ودفع المضار، فهذا شرك.

والدليل على أن الدعاء عبادة عظيمة لا يجوز صرفه لغير الله قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ فسمى الله تعالى الدعاء عبادة، فدل على أن صرفه لغير الله شرك أكبر، وقال النبي ﷺ عندما قرأ هذه الآية «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

(٢) «النذر» وهو: إلزام المكلف نفسه بشيء غير واجب عليه تعظيماً للمندور

له. والنذر لغير الله شرك أكبر؛ لأن النذر عبادة، وذلك من وجوه:

(١) أن الله أمر بالوفاء به قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

(٢) أن الله مدح الموفين بالنذر فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] وهو لا يأمر ولا يمدح إلا على فعل واجب أو

مستحب أو ترك محرم وهذه هي العبادة.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] فتعليق العمل بعلم الله دليل على أنه يجازيهم

عليه، وهذا يدل على أنه عبادة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف

بغير الله وهو كالسجود لغير الله.^(٢)

(١) صحيح:

أخرجه أحمد (١٨٣٥٢) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) عن زر،

عن يسيع الكندي، عن النعمان بن بشير به. وهذا إسناد صحيح وهو في (الصحيح المسند)

للعامة الوادعي رحمه الله برقم (١١٥٩).

(٢) انظر: (مجموع الفتاوى) (١٢٣/٣٣).

فالنذر الشركي لا يجوز الوفاء به بالإجماع، ولا كفارة عليه؛ لأنه لم ينعقد أصلاً، وإنما يجب عليه التوبة والاستغفار.

(٣) «النحر» وهو ذبح البهيمة من نحرها (أعلى الصدر). وهو من أجل العبادات قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وإنما ذكر هاتين العبادتين؛ لشرفهما وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، فالذبح يبذل فيه الإنسان ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى. والذبح ينظر فيه إلى أمرين: الأمر الأول: القصد. والأمر الثاني: التسمية.

ولهذا قسم العلماء الذبح إلى قسمين:

(١) ذبح مشروع، وهو نوعان:

النوع الأول: ما قصد به التقرب المحض لله تعالى كالهدي والأضحية والعقيقة، فهذا من أعظم العبادات، ومنه ما هو واجب كهدي التمتع والنذر، ومنه ما هو مستحب كالعقيقة والتصدق على الفقراء.

النوع الثاني: ما قصد به مجرد الأكل أو إكرام الضيف، فهذا في أصله مباح فإن نوى فيه الصدقة وامثال الشرع كان مستحباً.^(١)

(٢) ذبح غير مشروع، وهو نوعان:

النوع الأول: ما يكون الذبح فيه شركاً أكبر وله صورتان:

الصورة الأولى: أن يذبح بقصد التقرب لغير الله تعالى من الأصنام والقبور والسحرة والجن، ويلحق بهذا ما يذبح أمام الأمير والسلطان عند قدومه، تعظيماً له.

وهذه الصورة: [شرك في العبادة]؛ لأنه في المقاصد.

الصورة الثانية: أن يذكر على المذبوح غير اسم الله، كأن يقول: باسم المسيح، أو باسم الولي الفلاني ونحو ذلك. **وهذه الصورة:** [شرك في الاستعانة]؛ لأن الباء في التسمية للاستعانة.

النوع الثاني: ما يكون الذبح فيه شركاً أصغر وهو: أن يكون الذبح لله تقريباً، ولكن الطريقة غير شرعية، كالذبح عند عتبة البيت الجديد لقصد حلول البركة، الإكرام لا مجرد الذبح؛ لأنه لم يقصد به التقرب إلى الله.

(١) لأن إراقة الدم هنا غير مقصود بها تعظيم أحد، وإنما المراد بها اللحم أو الإكرام، فتجب التسمية على الذبيحة ويؤجر لامثاله الأمر بالتسمية ويحصل له أجر الأكل الحلال أو أجر الإكرام لا مجرد الذبح؛ لأنه لم يقصد به التقرب إلى الله.

أو لطرد الجن ، ونحو ذلك، فهذا أثبت سبباً لم يجعله الشارع سبباً، فهو شرك أصغر، وقد يكون شركاً أكبر بحسب الاعتقاد.

(٤) «الرجاء» وهو: طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال، تنزيلاً له منزلة القريب.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا يجعل مع الله شريكاً في عبادته، فإن العبادة لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له، فإذا رجا الإنسان غير الله رجاء متضمناً للذل والخضوع فهو مشرك الشرك الأكبر.

والرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصية الله ورجا قبول توبته، وأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍّ مذموم.

(٥) «الخوف» وهو: انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل.

وهو من أجل العبادات القلبية، بل هو ركن العبادة الأعظم، ولا يستقيم إخلاص الدين لله الذي أمر الله به عباده إلا به، والدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ فأمَرَ الله تعالى عباده بالخوف منه وحده، وجعله شرطاً في صحة الإيمان، وهذا يدل على أنه من أعظم العبادات.

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف عبادة وتعظيم. وهو خوف العابد من معبوده، ويتضمن الذل والخضوع والتعظيم للمعبود، وهذا النوع واجب لله، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

النوع الثاني: خوف طبيعي (جبلي). كأن يخاف الإنسان من النار والعدو والحيوان المفترس، وهذا النوع مباح.

النوع الثالث: خوف محرم. كالقنوط من رحمة الله، أو طاعة المخلوق في معصية الخالق خوفاً منه.

(٦) «التوكل» وهو: صدق التفويض والاعتماد على الله مع الثقة به والأخذ بالأسباب المشروعة.

وهو من أجل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد فلا يفوض عبداً أموره ولا يعتمد إلا على الله عز وجل، فهو القادر على كل شيء، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإخلاص التوكل على الله شرط في صحة الإيمان، ينتفي عند انتفائه، وإذا كان كذلك فالمخلوق وإن كان له نوع قدرة فلا يعتمد عليه، ولو في ما أقدره الله عليه، بل يعتمد العبد على الله عز وجل وحده.

وقد قسم العلماء التوكل إلى قسمين:

(١) توكل على الله.

وهذا واجب، بشرط أن لا يصل إلى ترك الأسباب وهو التواكل.

(٢) **توكل على المخلوق.** وينقسم من حيث الحكم إلى قسمين:

القسم الأول: شرك أكبر: وله صور، منها:

أ- أن يتوكل على المخلوق توكلًا كليًا بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضرر، فيعتمد عليه اعتمادًا كاملاً، مع شعوره بافتقاره إليه، فهذا قد توكل على المخلوق كتوكله على الله أو أكثر.

ب- أن يتوكل على الأموات، أو الغائبين، أو الجمادات، ويسميه بعض العلماء بـ[توكل السر]؛ لأنه يعتقد بأن هذا الميت أو الغائب له تصرف سري في هذا الكون.

القسم الثاني: شرك أصغر: وهو أن يعتمد على السبب، ويلتفت بقلبه إليه، مع اعتقاده أن الله هو المسبب، وهو ما يسميه بعض السلف (التفات القلب) ويسمى (الالتفات إلى الأسباب).

والمباح أن يوكل شخصًا بالنيابة في التصرف في أمور دنياه، لكن لا يقول: توكلت عليه، بل وكّلته، فإنه ولو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله عز وجل وحده.

(٧) **«الرغبة»** وهي: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

والرغبة المتضمنة للسؤال والتضرع والابتهاال والافتقار لا تكون إلا الله تعالى،
وصرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ فدلّت
الآية على أن هذه الثلاثة الأنواع من أجل أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً لغير الله
فهو مشرك كافر

(٨) «الرغبة» وهي: الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون
بالعمل.

والرغبة المتضمنة لصدق الخوف واضطراب القلب مع الشعور بالذل
والانكسار لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر، والدليل الآية
السابقة.

(٩) «الإجابة» وهي: الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته.
وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله
واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ فأمَرَ الله تعالى عباده بالإجابة إليه فدل على أنها عبادة وأنه يجبها شرعاً
وديناً، فصرفها لغير الله شرك أكبر.

وقوله: «وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن» أي: وكل نوع من
أنواع العبادة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ عليها دليل من القرآن يدل على أنها عبادة
وقد تقدم بيان ذلك - والله الحمد -.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات: قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الشرح:

قوله: «الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات» وهو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته، بإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ «توحيد الذات والأسماء والصفات» أي: توحيد الذات المقدسة بأنها لا تماثل ذوات المخلوقين، وتوحيد الأسماء والصفات بأنها أيضا لا

تماثل صفات المخلوقين وكأنه أشار بذلك إلى قاعدة: [الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات]، يحتذى فيه حذوه ومثاله، فكما أنه يجب العلم بأن الله ذاتا حقيقة، لا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات حقيقة، لا تماثل صفات المخلوقين.

وهذا التوحيد لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه، من توحيد الربوبية والإلهية، فإن الكفار والمشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة^(١)، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي ﷺ ذلك، كما ردوا عليه توحيد الإلهية فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، لاسيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد^(٢)، ومع هذا لم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ حتى يفردوا الله تعالى بالعبادة.

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] وأخرجه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي مسلم (١٧٨٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه أن قريشا يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي: «اكْتُبْ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سَهِيلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ، فَمَا نَذَرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم كما ذكر الإمام ابن جرير وابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله بـ [الرحمن]، بل أكثرهم يقرون بهذا الاسم.

(٢) انظر: (تفسير الإمام الطبري) و(تفسير ابن كثير) لسورة الفاتحة عند البسملة، و(تيسير العزيز =

شرح الواجبات المتحتيات بالعرفان

ثم ذكر المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ** في بيان هذا النوع جملة من الآيات، ومنها سورة الإخلاص التي سميت بذلك؛ لأنها خالصة في ذكر الرب سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وليس فيها شيء آخر مما يتعلق بالعبادات والأحكام **«قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** أي: الله واحد لا شريك له، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: السيد الذي قد كمل في سؤدده وشرفه وعظمته وفي جميع صفات الكمال، والذي تصمد إليه الخلائق في جميع حاجاتها ومهماتها **﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾** أي: لكمال غناه ليس له ولد ولا والد له **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾** أي: ليس له مكافئ ولا مماثل لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

«وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: البالغة في الحسن أكمله، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه **﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** أي: اسألوه وتوسلوا إليه بها **﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** أي: اتركوهم وأعرضوا عن مجادلتهم **﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** وعيد شديد وتهديد أكيد لهم.

والإلحاد في أسماء الله الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع منها: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. ومنها: أن يجعلها دالة على صفات تماثل صفات المخلوقين، كما فعل أهل التمثيل، وذلك لأن التمثيل معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

«وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: لا يماثل الله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿الْبَصِيرُ﴾ يرى ديب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على الممثلة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

الشرك وأنواعه

قال المصنف رحمه الله:

ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

الشرك الأكبر لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، [١١٦]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٨].

الشرح:

قوله: «ضد التوحيد الشرك» ضد الشيء هو: خلافه الذي لا يجوز إجتماعه مع ضده، فالتوحيد لا يجتمع مع الشرك أبداً؛ ولما بين المصنف رحمته الله التوحيد بأنواعه، أراد أن يبين ضده وهو الشرك بأنواعه؛ لأن الشيء يعرف بحدّه وتعريفه ويعرف بضده كما قيل:

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء^(١)

ومن لا يعرف الشرك ربما وقع فيه، ولهذا قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مُحَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي^(٢).

وقوله: «وهو» أي: الشرك «ثلاثة أنواع» وهي:

- (١) «شرك أكبر» وهو الشرك المخرج من الملة.
- (٢) «وشرك أصغر» وهو الشرك الذي لا يخرج من الملة.
- (٣) «وشرك خفي» أي: خفي غير ظاهر.^(١)

(١) فلا بد من معرفة الشرك؛ لأن الشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، فيبقى معه أصل التوحيد الذي به سمي مسلماً، وزال عنه كماله الواجب الذي به سمي عاصياً فاسقاً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) وقد نظم أبو فراس الحمداني هذا المعنى فقال:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ رِكنَ لتوقِّيهِ
ومن لم يعرفِ الشرَّ من الخير يقع فيه

والأفضل أن يجعل الشرك الخفي داخلا في الأكبر والأصغر، ولا يجعل قسيما لهما؛ لأنه ليس بنوع مستقل وذلك لأن الخفاء هو وصف يدل على الاستتار والكتمان، فهو ضد الظهور، وعلى هذا فيصدق هذا الوصف على الأكبر والأصغر، ولأن من جعله قسيما مستقلا مقابلا للأكبر والأصغر لم يستطع أن يتوصل إلى ضابط له يميزه عن الأكبر والأصغر.

ثم شرع المصنف رَحِمَهُ اللهُ في بيان هذه الأنواع.

النوع الأول: الشرك الأكبر

قوله: «الشرك الأكبر لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً» عرف المصنف رَحِمَهُ اللهُ الشرك الأكبر بحكمه لا بحده، وتعريفه بحده كما قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: كل عمل قولي أو فعلي، أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وكان متضمنا لخروج الإنسان عن دينه. (٢)

وأما حكمه فكما قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ أنه: «لا يغفره الله» أي: لمن مات عليه ولم يتب منه، وأما من تاب تاب الله عليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

= (١) انظر: (الدرر السنية)، (٢/٧٠).

(٢) انظر: (القول المفيد) باب: [من تبرك بشجر أو حجر].

وقوله: «ولا يقبل معه عملاً صالحاً» لأنه يحبط جميع الأعمال ويبطلها، ثم ذكر الأدلة على هذه الأحكام، وهي على ثلاثة أنواع:

(١) الدليل على عدم مغفرة الذنوب: «قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به؛ لأنه أعظم الذنوب عند الله سبحانه، وهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده، فما دون الشرك من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة: إن شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه به.

(٢) الدليل على تحريم الجنة والخلود في النار: «وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ إِبْرَاهِيْمَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: فالله تعالى حرم الجنة أن يسكنها مشرك في عبادة الله، بل مأواه ومرجعه ومكانه الذي يأوي إليه نار جهنم.

(٣) الدليل على حبوط الأعمال: «وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ أي: باطلا مضمحلا قد خسروه وحرموا أجره بسبب الشرك الذي لا يبقى معه عمل صالح.

شرح الواجبات المتحتيات العرفية

«وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ❖ وحبوط العمل هنا المراد به الحبوط الكلي لجميع الأعمال؛ لأن ﴿عَمَلُكَ﴾ ❖ اسم جنس مضاف فيفيد العموم، ولا يكون هذا إلا في الشرك الأكبر.

«وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ❖ أي: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميئناهم برهم تعالى، فعبدوا معه غيره، لحبط عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون؛ لأن الله لا يقبل مع الشرك به أي عمل، فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا-وحاشاهم-لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى.

أنواع الشرك الأكبر

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

والشرك الأكبر أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

[العنكبوت: ٦٥].

الشرح:

قوله: «والشرك الأكبر أربعة أنواع» ليس هذا على سبيل الحصر، وإنما هذه الأنواع الأربعة هي أشهرها وأعظمها، التي من وقع في أي نوع منها فقد خرج من ملة الإسلام، وكان من الخالدين في النار.

وقوله: «النوع الأول: شرك الدعوة» أي: شرك دعاء غير الله، وبدأ المصنف رَحِمَهُ اللهُ بشرك الدعوة؛ لأن أكثر المشركين وعباد القبور يحصل منهم ذلك عند الأضرحة والمشاهد والأولياء والصالحين يدعونهم من دون الله ويستغيثون بهم عند الشدائد «والدليل» أي: والدليل على أن من دعا غير الله فهو مشرك «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

يُشْرِكُونَ ﴿ أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطراب يدعونه وحده لا شريك له، ويتركون أندادهم، فإذا زالت عنهم الشدة، ونجاهم الله تعالى إلى البر، أشركوا به من لم يُنجِّهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة، فهلاً أخلصوا الله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه.

قال المصنف رحمه الله:

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

الشرح:

قوله: «النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد» وهذه الثلاث الكلمات مترادفة ومعناها متقارب، أي: أن يقصد الإنسان بقلبه ونيته غير وجه الله، كأن يريد بعمله الصالح التزين عند الناس، والتصنع لهم لقصد ثنائهم ومدحهم، فهذا رياء، وإما أن يريد به عرضاً من الدنيا، كالمال، والمنزلة والرياسة والشرف ونحو ذلك.

«والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من كان يريد بأعماله الصالحة زينة الدنيا من الثناء الحسن والمال والجاه، نوفر لهم ثواب أعمالهم الصالحة ما أرادوه وقصدوه، وهم فيها لا ينقصون؛ لكنهم يوم القيامة ليس لهم إلا النار؛ لأنهم لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها، فأعمالهم باطلة حابطة، والعمل الباطل لا ثواب له.

وهذه الآية ظاهرها أن كل من أراد بعمله الدنيا أن الله تعالى يُوفّر له ثواب الدنيا كاملاً دون أن ينقصه شيء، ولكن هذه الآية مقيدة بآية الإسراء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] فلا يعطى ثواب الدنيا إلا لمن أراد الله له ذلك، ولم تبق الآية الأولى على إطلاقها.

والنية في العمل الصالح على ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول: أن تكون نيته وقصده في العمل الصالح نية خالصة لله وحده، فهذه هي أكمل المراتب، وله الأجر كاملاً، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْمَلُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

القسم الثاني: أن تكون نيته في العمل الصالح نية خالصة لإرادة الدنيا، ولا هم له في الآخرة، فهذا أدنى المراتب وليس له من الأجر شيء، وهو آثم على نيته الفاسدة، لقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا

شرح الواجبات المتحتيات العرفية

وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

القسم الثالث: أن تكون نيته مشتركة بين إرادة وجه الله وبين إرادة الدنيا، **فله ثلاث حالات:**

الحال الأولى: أن يكون الباعث له على العبادة هو ابتغاء الأجر والثواب من الله، لكن صاحب تلك النية نية أخرى غير الرياء، فالصحيح أن عبادته صحيحة ولا تبطل، ولكن ينقص أجره بحسب ذلك.

الحال الثانية: أن يكون الباعث له على العبادة نية أخرى غير الرياء، ونية الأجر والثواب تبع، فهذا ليس له أجر.

الحال الثالثة: أن يكون الباعث له على العبادة الأمران معا على السواء ابتغاء وجه الله وإرادة الدنيا، فهذا ليس له ثواب عند الله. ^(١)

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ

(١) انظر: (فتح العزيز الحميد) (٧٥١/٢).

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣١]﴾. وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدكم؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

الشرح:

قوله: «النوع الثالث: شرك الطاعة» الطاعة هي: موافقة المراد فعلا للمأمور وتركاً للمحذور. والمراد بشرك الطاعة: طاعة غير الله ورسوله ﷺ كطاعة الأمراء والعلماء في مخالفة الدين من تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله. **وحكم من فعل ذلك، أن له حالتين:**

الحال الأولى: أن يعلم أنهم خالفوا أمر الله ^(١)، فله حالان:

(١) أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم؛ مقدماً له، معتقداً له، ساخطاً لحكم الله، فهو كافر، للآية التي ذكرها المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ**، ولأنه كره ما أنزل الله

(١) ويشترط في هذا كله: أن يكون هذا الأمر ليس فيه خلاف معتبر. قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وَالْإِنْسَانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ-الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ-أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ-الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ-أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ-الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ-كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ. (مجموع الفتاوى) (٣/٢٦٧). وأما اتباع العالم في تبين شرع الله فليس من هذا الباب، بل يجب على الجاهل أن يأخذ بقول العالم الذي يثق بدينه وعلمه ونصحه، واتباعه له لا لشخصه، بل لأنه يبين أمر الله ويوضحه.

فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

(٢) أن يتابعهم في ذلك راضيا بحكم الله وعالما بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ومعتقدا له، ولكنه عمل بخلافه لهُوى في نفسه اختاره؛ كأن يريد مثلا وظيفة، فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة (لأنه غير معتقد لقولهم).

الحال الثانية: أن يجهل أنهم خالفوا أمر الله، وظن أنهم على حق، فهذا له حالان:

(١) أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه؛ لكنه مفرط أو مقصر، فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

(٢) أن لا يكون عالما ولا يمكنه التعلم؛ فيتابعهم تقليدا، ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه؛ لأنه فعل ما أمر به، وكان معذورا بذلك.

وقوله: «والدليل» أي: على شرك الطاعة **«قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** أي: اتخذ أهل الكتاب علماءهم وعُبادهم مشاركين لله في التشريع؛ لأنهم يحلون ما حرم الله فيحله هؤلاء الأتباع، ويحرمون ما أحل الله فيحرمه الأتباع، ويشرعون

شرح الواجبات المتحتات العرفية

لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها، فصاروا بذلك أرباباً؛ لأن التشريع من خصائص الربوبية^(١).

فسمى الله هذا الفعل منهم (طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام) عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لقوله: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقوله: «وتفسيرها» أي: وتفسير الآية «الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم» أي: ليس الشرك الذي وقعوا فيه أن أهل الكتاب دعوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله واستغاثوا بهم وصرفوا لهم العبادات (شرك العبادات)، ليس هذا المراد بالشرك هنا، وإنما المراد [شرك الطاعة] «كما فسرهما النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم» أي: لسنا نسجد لهم ونصرف لهم العبادات «فذكر له» أي: فذكر له النبي ﷺ «أن عبادتهم طاعتهم في المعصية» وقد أشار المصنف رَحِمَهُ اللهُ بهذا التفسير إلى حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢) وقد فسر العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ الآية به.

(١) فمما أحلّه النصارى مما حرمه الله: أكل لحم الخنزير، وإسقاط الختان، واتخاذ الصور في الكنائس، وتعظيم الصليب. وأما اليهود فقد بدلوا حد الرجم في الزنا بـ [التحميم] وهو: تسويد وجه الزاني والزانية.

(٢) ضعيف:

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

[البقرة: ١٦٥].

أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وابن أبي حاتم (١٠٠٥٧) والطبراني (٢١٨) والبيهقي (٢٠٣٥٠) وغيرهم من طرق عن عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي عَنَقِي صَلِيبٌ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ هَذَا الْوَتْنَ مِنْ عَنَقِكَ»، فَطَرَحْتُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ ﴿اتَّخَذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهِبَتْهُمْ أَزْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». وهذا إسناد ضعيف، فيه: غطيف بن أعين وهو ضعيف.

وجاء موقوفا على حذيفة كما عند الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما عند الآية، والبيهقي (٢٠٣٥١) وغيرهما من طرق عن الأعمش عن حبيب عن أبي البخري قال: سُئِلَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿اتَّخَذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهِبَتْهُمْ أَزْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، أَكَانُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيَحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، فَيَحَرِّمُونَهُ، فَصَارُوا بِذَلِكَ أَزْبَابًا. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، فأبو البخري سعيد بن فيروز لم يسمع من حذيفة، وليس له حكم الرفع؛ لأنه تفسير للآية، وليس هو من أسباب النزول، والذي يظهر - والله أعلم - أن الموقوف الذي ليس له حكم الرفع لا يقوي المرفوع الضعيف، فالحديث ضعيف وإن كان معناه صحيحا.

الشرح:

قوله: «النوع الرابع: شرك المحبة» أي: محبة العبودية، المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس، فهذه لا تصلح إلا لله وحده، ومتى أحب العبد غير الله هذه المحبة فقد أشرك الشرك الأكبر.

فمحبة الله من أعظم مقامات القلوب، ولن يجد عبد لذة العبادة حتى يحقق هذا المقام العظيم، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله، والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق جميع المحاب، وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

وتنقسم المحبة إلى قسمين وهما:

(١) محبة الله: وهي محبة التعظيم والتذلل والعبادة وتستلزم الطاعة المطلقة،

وتسمى "محبة العبادة". وحكمها أنها واجبة، وشرط في الإسلام.

(٢) محبة المخلوق: وهذه تنقسم من حيث الحكم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المحبة الشركية: ومن صورها:

١ - محبة العبادة: وضابطها أن يحب غير الله محبة تعظيم وذل وخضوع لهذا

المحبوب، كما يحصل من عباد القبور لأوليائهم، ومن صورها كذلك

حصول الطاعة المطلقة لهذا المحبوب.

٢- محبة دين الكفار، كمحبة الشيوعية، أو النصرانية ونحوها، أو محبة

الكافر لدينه، أو محبة أن يظهر دين الكفار على دين الإسلام مطلقاً.

القسم الثاني: المحبة الجائزة: وهي المحبة الطبيعية التي لا يتكلفها الإنسان،

ولها صور:

١- محبة طبيعية: كمحبة المال، والأولاد، والزوجة.

٢- محبة إشفاق: كمحبة اليتيم، والمسكين، والمريض.

٣- محبة إلف وأنس: كمحبة الصديقين لتوافق طبعهما، ومحبة المشتركين في

صناعة واحدة.

القسم الثالث: المحبة المحرمة: وضابطها أن تؤدي المحبة الجائزة إلى ترك

واجب، أو فعل محرم.

وقوله: «والدليل» أي: الدليل على أن صرف محبة التعظيم والذل لغير الله

شرك «قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وما لهم في

الآخرة من العذاب والنكال، حيث جعلوا لله ﴿أنداداً﴾ أي: أمثالا ونظراء:

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: يساؤونهم بالله في المحبة والتعظيم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي: والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين لله، فإن محبة

المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة

الخالصة أشد من المشتركة، كما قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) إذ

نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الشعراء: ٩٧-٩٨] أي: نسويكم برب العالمين في المحبة والتعظيم، فهذا الند وهذه التسوية إنما هو في المحبة لا في الخلق والربوبية؛ فإنه ليس أحد من أهل الأرض يثبته، بخلاف المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا وساووهم به وعدلوهم بربهم في المحبة والتعظيم. (١)

النوع الثاني: الشرك الأصغر

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

النوع الثاني: من أنواع الشرك: شرك أصغر وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشرح:

قوله: «النوع الثاني: من أنواع الشرك: شرك أصغر» سمي بذلك مقابلة بالشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر.

وقد اختلف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تعريفه وضابطه؛ نظرا لكثرة أفرادهِ وصورهِ، ولهذا عرّفهُ الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر صورهِ وأفرادهِ، ولم يذكر له ضابطا ولا تعريفا، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق،

(١) انظر: (مدارج السالكين) (٢١/٣).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وإنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركا أكبر، بحسب قائله ومقصده. (١)

ومن أحسن التعاريف ما قاله العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: كل عمل قولي أو فعلي، أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة.

ويعرف الشرك الأصغر بأنه لا يتضمن خروج الإنسان عن الدين بقرائن منها:

١- أن ينص النبي ﷺ صراحة على أن هذا الفعل من الشرك الأصغر: كما في حديث محمود بن كبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ».

٢- أن يفسر النبي ﷺ لفظ الشرك أو الكفر بما يدل على أن المقصود به الأصغر وليس الأكبر كما جاء في الصحيحين (٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ».

(١) انظر: (مدارج السالكين) (١/٣٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦) ومسلم برقم (٧١).

فالكفر هنا جاء تفسيره في الرواية الأخرى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَالْكَوَاكِبُ»^(١).

٣- أن يفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النصوص الشرعية أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر، ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «الطَّيْرَةُ شِرْكُ الطَّيْرَةِ شِرْكُ ثَلَاثًا»، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.^(٢) فجملة: "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ" هذه من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذا يدل على أنه فهم أن هذا من الشرك الأصغر، لأنه لا يمكن أن يقصد (وما منا

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٢).

(٢) صحيح:

أخرجه أبو داود (٣٩١٥) والترمذي (١٦١٤) وكذا ابن ماجه (٣٥٣٨) وأحمد (٣٦٨٧) وغيرهم من طرق عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود به. وهذا إسناد صحيح، وهو في (الصحيح المسند) للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٨٥٨). وقوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا...» إلى آخره، مدرج من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الإمام الترمذي عقب الحديث: سمعت محمد بن إساعيل (البخاري) يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: «وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» قال سليمان: هذا عندي قول ابن مسعود. اهـ، وصوب كونها مدرجة للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في (مفتاح دار السعادة) (١٤٨٤/٣).

إلا ويقع في الشرك الأكبر)، وأيضاً الشرك الأكبر لا يذهب به الله بالتوكل بل لا بد من التوبة.

٤- أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكرًا - أي غير مقترن بـ [أل] - فهذا يقصد به الشرك الأصغر، كما ذكر شيخ الإسلام رحمته الله^(١) وله أمثلة كثيرة كقوله ﷺ «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّائِمَ، وَالتَّوَلَّى شِرْكَ»^(٢) بخلاف الشرك الأكبر فيأتي في نصوص الكتاب والسنة معرّفًا بـ [أل] الاستغراقية التي تفيد حصول كمال الشرك وغايته.

٥- ألا يترتب على ذلك الشرك حد الردة، كما جاء في الصحيحين^(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَذْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَخْلِفُ بِأَبِيهِ،

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٧).

(٢) صحيح:

أخرجه الحاكم (٧٥٠٥) والطبراني في الأوسط (١٤٤٢) من طريقين عن إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن الأسدي، قال: قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه عَلَى امْرَأَةٍ فَرَأَى عَلَيْهَا حِرْزًا مِنَ الْخُمْرَةِ فَقَطَعَهُ قِطْعًا عَنيفًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الشِّرْكِ أَغْنِيَاءُ وَقَالَ: كَانَ مِمَّا حَفِظْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّائِمَ وَالتَّوَلَّى مِنَ الشِّرْكِ» زاد الطبراني: فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا التَّوَلَّى؟ قَالَ: «التَّهْيِيجُ». وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وقد حسنه العلامة الوادعي رحمته الله في (الصحيح المسند) برقم (٨٣٠)، والعلامة الألباني رحمته الله في (السلسلة الصحيحة) برقم (٢٩٧٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٨) ومسلم برقم (١٦٤٦).

فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَخْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصُمْتُ».

والشرك الأصغر في الألوهية نوعان:

(١) ظاهر: كالحلف بغير الله، ولبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه. وغيرها من الأقوال والأعمال.

(٢) وخفي: كيسير الرياء.

وقوله: «وهو الرياء» هذا تعريف للشرك الأصغر ببعض أفرادهِ، ودليل هذا التفسير حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»^(١)، وليس هذا حصراً

(١) صحيح لغيره:

أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وفيه: انقطاع فعمر ولم يسمع من أحد من الصحابة، فلم يسمعه من محمود بن لبيد، وبينهما: عاصم بن عمر بن قتادة الضفري وهو ثقة، كما عند البيهقي في (الشعب) (٦٤١٢) والبخاري في (شرح السنة) (٤١٣٥)، فالحديث حسن لأجل عمرو بن أبي عمرو فهو حسن الحديث وبقيته رجاله ثقات.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده ضعف، فالحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وهو في (الصحيح) للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٩٥١).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

للشرك الأصغر في هذا النوع، بل هو من باب المثال لا من باب الحصر، إذ الشرك الأصغر أنواعه متعددة: كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، وغير ذلك. والرياء هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها.

وينقسم الرياء إلى قسمين:

القسم الأول: رياء أصغر، غير مخرج من الملة: وهذا هو الأصل للحديث المتقدم، وهو الذي قد يصدر من المؤمن في بعض أعماله، فيكون عمله فيه قصد لله وفيه قصد لغير الله.

القسم الثاني: رياء أكبر، مخرج من الملة: وهو: أن يراني في أصل إسلامه وتوحيده وإيمانه، فيظهر الإسلام ويبطن الكفر مراعاة للناس^(١)، كحال المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] ويسمى: [الرياء المحض].

وقوله: «والدليل» أي: والدليل على أن الرياء من الشرك «قوله تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾» أي: من كان يخاف المصير إلى الله، ويأمل لقاءه ورؤيته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا يراني بعمله، بل لا بد أن يريد به وجه الله

(١) قال العلامة الفوزان -في ضابطه وتعريفه-: إذا كان قصد الإنسان بجميع أعماله مراعاة الناس، ولا يقصد وجه الله أبداً، وإنما يقصد العيش مع المسلمين، وحقن دمه، وحفظ ماله، فهذا رياء المنافقين. انظر: (إعانة المستفيد) (٢/٩٠).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

وحده لا شريك له، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أي كما أنه إله واحد لا إله إلا هو، فكذاك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يتفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو: الخالص من الرياء، المقيد بالسنة.

فهذان ركنا العمل المتقبل:

- ١- أن يكون خالصا لله، والإخلاص لغة: تنقية الشيء وتهذيبه، وشرعا: تصفية العمل عن إرادة ما سوى الله بعمله.
- ٢- وأن يكون صوابا على شريعة رسوله ﷺ. (١)

(١) والعبادة إذا خالطها رياء فلها حالان:

(١) إن كان الباعث للعمل من أصله هو الرياء فالعمل كله باطل، وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتدرج به إلى الشرك الأكبر، كما جاء في الحديث القدسي: «قَالَ اللهُ -: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ».

(٢) إن كان العمل من أصله لله، ثم طرأت النية الفاسدة عليه، فله حالان:

- ١- أن يجاهد نفسه على دفعها، فلا شيء عليه، وعمله مقبول، ويؤجر على المجاهدة.
- ٢- أن يركن إليها ويرضى بها، (يستسلم للرياء ويستمر فيه) فللعمل حالان: الحال الأولى: إذا كان العمل لا يترتب آخره على أوله كالصدقة والذكر وقراءة القرآن، صح العمل فيما كان لله، وبطل في الذي دخلته النية الفاسدة. الحال الثانية: إن كان العمل يترتب آخره على أوله كالصلاة فيبطل جميع العمل. انظر: (جامع العلوم والحكم) الحديث الأول.

النوع الثالث: الشرك الخفي

قال المصنف رحمه الله:

النوع الثالث: من أنواع الشرك: شرك خفي، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:
«الشُّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ» وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لَا أَعْلَمُ».

الشرح:

قوله: «النوع الثالث من أنواع الشرك: شرك خفي» أي: غير ظاهر محله القلب، لا يطلع عليه إلا الله الذي لا تخفى عليه خافية، وقد يكون الشرك الخفي شركا أكبر مخرجا من الملة كمحبة غير الله محبة تعظيم وذل وعبادة، وكالتوكل على غير الله وغير ذلك من أعمال القلوب.

وقد يكون الشرك الخفي شركا أصغر كيسير الرياء، ونحو ذلك من الأفعال الخفية.

وعلى هذا فالشرك الخفي لا يصلح أن يجعل قسيما للشرك الأكبر والأصغر؛ لأنه مندرج فيهما، ويدل لذلك حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَشُرَكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: وَمَا شُرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُومَ أَحَدُكُمْ

يُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»^(١)، فالنبي ﷺ جعل الرياء من الشرك الخفي، فدل على أنه قسم منه لا قسيم له، وقد جاء ذلك صريحا في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». ولكن في إسناده ضعف^(٢).

وقوله: «والدليل عليه» أي: والدليل على الشرك الخفي «قوله ﷺ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ» أي: أثر مشي النمل «عَلَى صَفَاءٍ» وهي: الحجر الأملس «سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ» وهذا أبلغ ما يكون في الخفاء، فالشرك، لخفائه على أكثر الناس حتى لا يكاد يفطن له، ولا يعرفه إلا القليل، مثله مثل أخفى شيء، وهو أثر النمل، فإنه خفي، فكيف إذا كان على صفاة؟ فكيف إذا

(١) صحيح:

أخرجه ابن أبي شيبة (٨٤٨٩) وابن خزيمة (٩٣٧) من طريقين عن سعد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر ابن قتادة، عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) أخرجه أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) وبنحوه عند أحمد (١١٢٥٢) من طريق عن كثير بن زيد، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه عن أبي سعيد. وهذا إسناده ضعيف، فيه: ربيع بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وكثير بن زيد الأسلمي مختلف فيه، والراجح أن حديثه لا ينزل عن درجة الحسن. ولكن يشهد لآخر الحديث، حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

شرح الواجبات المتحتمات البعرفية

كانت سوداء؟ فكيف إذا كانت في ظلمة الليل الأسود؟ وهذا يدل على شدة خفائه على من يدعي الإسلام، وعسر التخلص منه.

وقوله: «وكفارته» أي: وكفارة الشرك الخفي **«قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لَا أَعْلَمُ»^(١)»** والمعنى: أن المسلم عليه أن يدعو ربه أن يعيده ويجنبه الوقوع في الشرك بالله تعالى كما دعا إبراهيم الخليل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال: **﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥]، ومع ذلك قد لا يسلم المسلم من الوقوع في بعض صور الشرك الخفية، فعليه أن يكثر من التوبة والاستغفار لما قد يحصل منه وهو لا يعلم به، فهذه هي كفارة الشرك بالله تعالى وإن كان الحديث ضعيفا فالأدلة الأخرى تدل على ذلك.

(١) ضعيف:

أخرجه أبو يعلى (٥٨) من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، وقد اضطرب في الحديث كما بين ذلك الإمام الدارقطني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في (العلل) برقم (١٥).

الكفر وأنواعه

قال المصنف رحمه الله:

الكفر كفران:

الأول: كفر يخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق: والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن: والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ

لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

النوع الرابع: كفر الإعراض: والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

النوع الخامس: كفر النفاق: والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

الشرح:

لما انتهى المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام على الشرك وأنواعه، شرع في بيان الكفر وأنواعه، وهذا يدل على أن هناك فرق بين الشرك والكفر، فالكفر أعم من الشرك، فكل شرك كفر^(١) وليس كل كفر شركاً^(٢)، وهذا في حال اجتماع الشرك

(١) لقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، ولقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

(٢) لوجود الفرق اللغوي بينهما، ولقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ فعطف الله تعالى المشركين على الكفار من أهل الكتاب، والأصل في العطف أنه يقتضي المغايرة، ولهذا أجمع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ على تسمية أهل الكتاب كفارا واختلفوا في تسميتهم مشركين؟ والصحيح قول الجمهور أنهم ليسوا بمشركين في أصل دينهم، وهو ترجيح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: (فتح العزيز الحميد) (١/٢٧٨).

والكفر، وأما في حال الافتراق فيطلق أحدهما على الآخر، فيطلق الكفر على الشرك باعتبار أن المشرك كفر أمر الله بالتوحيد، ويطلق الشرك على الكفر باعتبار أن الكافر اتخذ إلهه هواه.

والكفر في اللغة هو: الستر والتغطية، ومنه سمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء، وسمي الزارع كافراً لتغطيته البذور في الأرض بالتراب، فهكذا الكافر غطى وستر قلبه بالكفر.

وشرعاً هو: ضد الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً وتركاً.

قوله: «الكفر كفران: الأول: كفر يخرج من الملة» ويسمى (الكفر الأكبر). وضابطه هو: الكفر الذي يضاد الإيمان ويزيله، والموجب للخلود في النار.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

النوع الأول: الكفر الأكبر

وقوله: «وهو» أي: الكفر الأكبر «خمسة أنواع» عرفت بالتبع والاستقراء لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ:

١) **قوله: «النوع الأول: كفر التكذيب»** وهو اعتقاد كذب الله تعالى أو كذب بعض رسله، فمن كذبهم فيما جاءوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، **والدليل** قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ أي: لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله، فقال: إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول: مفتر. والثاني: مكذب، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

والتكذيب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تكذيب بالقلب. وهو: اعتقاد كذب الله تعالى أو كذب الرسل وجحد ما جاءوا به، فيكذب ويجحد ما جاءت به الرسل بقلبه ولسانه، وهذا القسم قليل في الكفار، ونادر جداً، وقد لا يوجد، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الرسل من الآيات والبراهين والحجج والأدلة الواضحة على صدقهم وصدق ما جاءوا به ما يتبين به صدقهم لكل أحد، حتى قامت الحجة وانجلت المعذرة.

القسم الثاني: تكذيب باللسان مع اعتراف القلب وتصديقه. وهذا القسم كثير في الكفار، وهو الغالب على أعداء الرسل، ومن أمثلة هذا النوع كفر فرعون وقومه، فإن فرعون وقومه معترفون بصدق موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأنه رسول من عند الله، لكنهم كذبوا بألسنتهم فصاروا مكذبين وجاحدين، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فقلوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: بألسنتهم، ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: فنفسهم مستيقنة مصدقة.

(٢) قوله: «النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق» وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولكنه لا ينقاد استكباراً وعناداً، مثل: كُفِرَ إبليس، فإنه لم يحدد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار «والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى كُفْرِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] ^(١)، وقول الأمم لرُسُلِهِمْ ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ [الشمس: ١١] وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وهو كفر أبي طالب أيضاً، فإنه صدّقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحميّة، وتعظيم أبيه أن يرغب عن ملّتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

(٣) قوله: «النوع الثالث: كفر الشك» وهو التردد وعدم الجزم بصدق الرسول ﷺ وما جاء به، ويقال له: «كفر الظن»؛ لأن صاحبه ليس عنده

(١) سبق أن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ذكر من أمثلة كفر التكذيب والحدود فرعون، وذكره هنا مثالا لكفر الإباء والاستكبار، ولا تنافي في ذلك، فإن فرعون اجتمع فيه الأمران، فهو مكذب جاحد بلسانه، وهو أيضاً مستكبر، ولا مانع أن يجتمع في الشخص الواحد أنواعا من الكفر.

جزم ويقين بذلك «والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٣٧) لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: والدليل على كفر الشك والظن: قصة صاحب الجنة الذي افتخر بآله وجنته، ومن كفره بالله تعالى أنه شك في فناء الدنيا وحصول البعث يوم القيامة، فسماه صاحبه كافرا بهذا الشك.

٤) قوله: «النوع الرابع: كفر الإعراض» أي: التولي والميل عن الإسلام رغبة عنه، والمراد هنا الإعراض بالكلية عن الدين الذي به يدخل الإنسان في الإسلام، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة. (١)

«والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ أي: لا هون معرضون عن دعوة الرسل.

٥) قوله: «النوع الخامس: كفر النفاق» أي: النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويطن الكفر «والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: قدر الله عليهم النفاق لرجوعهم

(١) انظر: (مدارج السالكين) (١/٣٤٦).

عن الإيمان إلى الكفر، فأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فعاقبهم الله تعالى بأن طبع على قلوبهم فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي.

النوع الثاني: الكفر الأصغر

قال المصنف رحمه الله:

النوع الثاني من نوعي الكفر: وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة: وهو كفر النعمة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

الشرح:

قوله: «النوع الثاني من نوعي الكفر: وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة» ويسمى (الكفر الأصغر) أو (كفر دون كفر) وضابطه: الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرا، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

ومثاله: قول النبي ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١)، وقوله ﷺ: «اِثْنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالْيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(٢)

وقوله: «وهو كفر النعمة» أي: جحود نعمة الله الدينية أو الدنيوية وعدم القيام بشكرها على الوجه المطلوب.

فمثال كفر نعمة الله الدينية: كفر نعمة الأخوة الدينية، كما قال النبي ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٣).

ومثال كفر نعمة الله الدنيوية: كفر نعمة الأمن والرزق «والدليل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾»^(٤)
أي: هذه القرية وهي مكة المشرفة حصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٤) ومسلم برقم (٦٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢١) ومسلم برقم (٦٥)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

النفاق وأنواعه

قال المصنف رحمه الله:

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي.
النفاق الاعتقادي: ستة أنواع صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار:

الأول: تكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الثالث: بغض الرسول ﷺ.

الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الخامس: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

النفاق العملي: خمسة أنواع. والدليل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»^(١) وفي رواية: «وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»^(٢).

الشرح:

النفاق لغة: هو إخفاء الشيء وإغماضه. وشرعا هو: إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

قوله: «النفاق نوعان: اعتقادي» أي: في القلب «وعملي» أي: في الجوارح.

النوع الأول: النفاق الاعتقادي

قوله: «النفاق الاعتقادي» وهو: إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

قال الإمام ابن رجب رحمة الله: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.^(٣)

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤) ومسلم برقم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) انظر: (جامع العلوم والحكم) رقم الحديث (٤٨).

وقد يطلق الفقهاء لفظ [الزنديق] على المنافق^(١).

وهو: «ستة أنواع صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار» أي: أن النفاق الاعتقادي مخرج من ملة الإسلام، والمنافق من أهل الدرك الأسفل من النار تحت الكفار واليهود والنصارى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فإن النفاق هو الداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر. فإنه أمر خفي على الناس. وكثيراً ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مُصلح وهو مفسد.

وهو نوعان: أكبر، وأصغر. فالأكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل. وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولا للناس، يهديهم بإذنه. وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلّى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين. فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهرُوا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنُوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار. انظر: طريق الهجرتين (٢/٨٧٨).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالياته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد.

فله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟ ! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه؟ ! وكم من علم له قد طمسوه؟ ! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟ ! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟ ! وكم عمّوا عيون موارد بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟ ! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبّههم سرية بعد سرية. (١)

وقوله: «الأول: تكذيب الرسول ﷺ» أي: التكذيب بالرسول ﷺ بالكلية وبما جاء به، وهذا يستلزم التكذيب بالدين كله، وهذا حال المنافقين الخلل.

والدليل على هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿١٠﴾ [البقرة: ٨-١٠]، وقوله تعالى: ﴿اِذَا جَآءَكَ الْمُتَنَفِقُوْنَ قَالُوْا نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُهُۥ، وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُتَنَفِقِيْنَ لَكَٰذِبُوْنَ﴾ [المنافقون: ١].

(١) انظر: (صفات المنافقين) ص ٣.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

وقوله: «الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ» أي: التكذيب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ، وهذا أقل من الذي قبله، ولكنه أشد خطرا منه؛ لأنه قد يقع فيه المسلم وهو لا يشعر، فيكذب ببعض ما جاء به الرسول ﷺ لكونه خالف عقله، أو خالف ما يهواه، وإنما يصدر هذا ممن لا يُعظم الرسول ﷺ، ولا يعرف حقه.

ودليل هذا النوع ما تقدم في النوع السابق.

وقوله: «الثالث: بغض الرسول ﷺ» وهذا لا يصدر إلا من منافق خبيث؛ لأنه لا يسمع أحد بصفات رسول الله ﷺ وأخلاقه وشمائله إلا أحبه، ولا يبغضه إلا كافر معاند، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي: إن مبغضك وذامك ومنتقصك هو المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

وقوله: «الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ» أي: بغض وكرهية شيء من دين الرسول ، كمن يبغض الصوم وإعفاء اللحية ونحو ذلك ولو عمل بها، أو يبغض تحريم الربا والزنى، ولو لم يفعل ذلك، فإن هذا من النفاق ومن نواقض الإسلام كما تقدم، ودليله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وقوله: «الخامس: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ» أي: السرور والاستبشار والفرح بانخفاض وهبوط دين الرسول ﷺ الذي هو دين الإسلام،

كمن يفرح بانزاع وخسارة المسلمين بغضا للإسلام وأهله، وكمن يفرح ويسر إذا انخفضت وأهنت معالم الإسلام وأذل أنصاره، ومات حماه وحملته، فهذا من النفاق المخرج من الملة، ودليل ذلك ما ذكره الله في سورة المنافقون التي تسمى [الفاضحة] كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ﴾ من نصر وعزّ وفتح ﴿تَسُوهُمْ﴾ أي: تحزنهم؛ لأنه يسر النبي ﷺ والمسلمين ﴿وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْهُمْ فَرِحُوا﴾ [التوبة: ٥٠].

وقوله: «السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ» أي: الكراهية والبغض بانتصار وعزّ دين الرسول ﷺ الذي هو دين الإسلام، كمن يكره ويغضب بانتصار المسلمين على أعدائهم، فالمنافقون إذا ظهر الدين وعلا وانتصر، غاظهم ذلك أشد الغيظ، وحزنوا أشد الحزن، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

النوع الثاني: النفاق العملي

قوله: «النفاق العملي» أي: النفاق في الظاهر دون الباطن، مما يتعلق بالجوارح.

وتعريفه هو: ترك المحافظة على أمور الدين سرا، ومراعاتها علناً، مع الإيثار بالله وصحة الاعتقاد.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك. وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث. ^(١)

وهو: «**خمسة أنواع**» كل نوع منها خصلة من خصال النفاق، وإذا اجتمعت الأنواع كلها في شخص أو أكثرها؛ فإنه يخشى عليه أن يكون من أهل النفاق الأكبر المخرج من الملة؛ لأن النفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، وهكذا من أصرَّ على خصلة من النفاق الأصغر يخشى عليه من الوقوع في النفاق الأكبر.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: النفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا. اهـ. ^(٢)

قوله: «والدليل» أي: والدليل على أنواع النفاق العملي الخمسة **«قوله رَحِمَهُ اللهُ:** **«آية المنافق ثلاثة»** أي: علامة المنافق الدالة على نفاقه ثلاث خصال، وفي رواية مسلم: **«وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»** وهي:

(١) انظر: (جامع العلوم والحكم) رقم الحديث (٤٨).

(٢) انظر: (جامع العلوم والحكم) رقم الحديث (٤٨).

الخصلة الأولى: «إذا حدث كذب» أي: أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له، وهو أقبح الثلاثة، وقد جاء في الصحيحين ^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

الخصلة الثانية: «وإذا وعد أخلف» أي فعل خلاف ما ذكر أنه يفعله.

وإخلاف الوعد على نوعين:

أحدهما: أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعدده، وهذا أشر الخلف.

الثاني: أن يعد ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف.

وأما إذا كان في نيته أن يفي، ولكن حصل له عذر أو نحوه، فلا يكون داخلا في هذه الخصلة المذمومة.

الخصلة الثالثة: «وإذا أوّمن خان» أي: الخيانة في الأمانة، فإذا أوّمن الرجل

أمانة، فالواجب عليه أن يؤديها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

الخصلة الرابعة: «وفي رواية: «وإذا خاصم فجر» أي: أن يخرج عن الحق عمدا في الخصومة حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا، وهذا مما يدعو إليه الكذب، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَبْعَصَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْخِصْمُ»^(١).

الخصلة الخامسة: «وإذا عاهد غدر» أي: إذا عاهد غيره غدر به، ولم يف بالعهد، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] وغيرها من الآيات^(٢).

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، ومن أعظم خصال النفاق العملي: أن يعمل الإنسان عملا، ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ فيتم له ذلك، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨).

(٢) الفرق بين العهد والوعد: أن الوعد هو الإخبار عن فعل شيء في المستقبل، وأما العهد فهو ما يكون في ذمة الشخص وضمانه.

شرح الواجبات المتحتمات للعرفات

على ما أظهره، وتوصل به إلى غرضه السيئ الذي أبطنه، وهذا قد حكاه الله في القرآن عن المنافقين واليهود... إلخ. ^(١)

(١) انظر: (جامع العلوم والحكم) رقم الحديث (٤٨).

الطاغوت

قال المصنف رحمه الله:

معنى الطاغوت ورعوس أنواعه

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه من رغب عنها.

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾

[الممتحنة: ٤].

والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

الشرح:

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته هذه ببيان معنى الطاغوت، لعظم هذه المسألة وجهل كثير من المسلمين بها، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الطاغوت ورءوس أنواعه» الطاغوت: مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١] أي: تجاوز حده.

وقوله: «اعلم» [اعلم] فعل أمر من العلم، وهو حكم الذهن الجزم المطابق للواقع، أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يلقي إليك من العلوم.

وكلمة (اعلم) يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعليم أن يصغي إلى ما يلقي إليه منها، وما قرره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من معنى الطاغوت ورءوس

أنواعه من الأمور المهمة التي يجب أن يهتم بها غاية الاهتمام، ويعتني بها أشد الاعتناء.

وقوله: «رَحِمَكَ اللهُ تعالى» دعاء لك بالرحمة، أي: غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى، والرحمة: سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل.

وكثيراً ما يجمع المصنف **رَحِمَهُ اللهُ** -عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول المهمة- بينها وبين الدعاء له، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين.

وقوله: «أن أول ما فرض الله على ابن آدم» أي: أول ما ألزم الله وأوجب على الناس من بني آدم، وكذلك الجن؛ لأنهم مكلفون أيضاً، وإنما خص المصنف **رَحِمَهُ اللهُ** بني آدم لشرفهم، هو **«الكفر بالطاغوت»** أي: الكفر بكل ما عبد من دون الله وهو راض، وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط للإيمان، ولأن المشركين عباد الطواغيت يؤمنون بالله ويعبدونه، ولكن عبادتهم لا تنفعهم لعدم كفرهم بالطاغوت.

وقوله: «والإيمان بالله» وهذا هو معنى: (لا إله إلا الله) المشتملة للنفي (وهو الكفر بالطاغوت) والإثبات (وهو الإيمان بالله)، ولأجل ذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، بل الدين أمران: كفر بالطاغوت، وإيمان بالله، ومن كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وقوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: ولقد أرسلنا في كل طائفةٍ وقرنٍ وجيلٍ من الناس رسولا ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أفردوه بالعبادة، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: اتركوا وفارقوا عبادة ما سواه، والتعبير بقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا﴾ أبلغ من اتركوا؛ لأنها تقتضي الترك الذي هو عدم الفعل وتقتضي المباحة والمجانبة أيضًا.

وهذه الآية هي معنى: لا إله إلا الله، فإنها تضمنت ركنيهما وهما: النفي والإثبات، فالإثبات ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، والنفي ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وهذه طريقة القرآن يقرن النفي بالإثبات، فينفي ما سوى الله، ويثبت عبادة الله وحده، والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات.

وقوله: «فأما صفة الكفر بالطاغوت» أراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يبين صفة الكفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ فقال: «فَأَنْ تَعْتَقِدَ» أي: تعتقد بقلبك اعتقادا جازما لا تردد فيه «بطلان عبادة غير الله» أي: بطلان وفساد أيَّ عبادة تصرف لغير الله تعالى، كائنا من كان نبيا أو ملكا أو وليا أو قبرا أو غير ذلك؛ لأن العبادة كلها حق لله وحده على عباده، لا تصلح إلا له، لأنه هو المستحق لها دون ما سواه «وتركها» أي: تترك عبادة غير الله تعالى «وتبغضها» أي: وتبغض عبادة غير الله ظاهرا وباطنا، وتمقتها أشد المقت؛ لأنها أعظم ذنب على الإطلاق «وتكفر أهلها» أي: تصرح بكفر كل من صرف العبادة لغير الله،

فمن شك في كفر المشركين الذين يعبدون الله ويدعون ويستغيثون بغير الله، فهو كافر، «وتعاديهم» أي: تعادي وتبغض كل من صرف العبادة لغير الله، وتبرأ منهم.

وقوله: «وأما معنى الإيمان بالله» أي: وصفة الإيمان بالله في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ «فأن تعتقد» أي: تعتقد بقلبك اعتقاداً جازماً لا تردد فيه «أن الله هو الإله المعبود وحده» أي: أن الله هو الإله المعبود، والمعبود تفسير للإله، أي: هو الذي يستحق أن تصرف العبادة له وحده لا شريك له «دون من سواه» أي: ولا تصرف لأحد غير الله لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما «وتخلص» أي: تصفي وتنتقي «جميع أنواع العبادة» أي: الظاهرة والباطنة «كلها لله» أي: تصفيها من الشرك كله، وتفردا كلها لله وحده «وتنفى عنها كل معبود سواه» أي: وتنفي جميع العبادات كلها عن كل معبود سوى الله من ملك أو نبي أو ولي؛ لأنه لا يستحق أحد العبادة سواه سبحانه وتعالى «وتحب أهل الإخلاص» أي: وتحب أهل الإخلاص لله في العبادة الذين لا يشركون مع الله غيره «وتواليهم» أي: تناصرهم وتعاونهم، ولو كانوا بعيدين عنك في المكان «وتبغض أهل الشرك» أي: وتبغض وتكره أهل الشرك الذين يصرفون العبادة لغير الله «وتعاديهم» أي: تحاصمهم وتجعلهم أعداء لك، ولو كانوا قريبين لك؛ لأنهم أعداء لله صرفوا خالص حقه سبحانه وتعالى لغيره ممن لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

وقوله: «وهذه» أي: صفة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله التي تقدم ذكرها هي **«ملة إبراهيم»** أي: طريقة وشريعة إبراهيم الخليل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وكذلك هي طريقة الأنبياء والمرسلين **«التي سلفه من رغب عنها»** كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: جهلها وامتهنها، ورضي لها بالدون، بسبب تركه للحق إلى الضلال.

وقوله: «وهذه» أي: الملة العظيمة وهي ملة إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** **«هي الأسوة»** أي: القدوة **«التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** أي: قد كان لكم يا معشر المؤمنين قدوة صالحة في إبراهيم والذين معه من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً **﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: إذ تبرأ إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ومن معه من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله، ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: **﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾** أي: كفرنا بكم وظهر وبان بيننا وبينكم البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك أبدا ما دمتهم مستمرين على كفركم **﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾** أي: فإذا آمنتهم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلکم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده.

فبين الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن البراءة تكون من شيئين وهما:

- ١- البراءة من الشرك (العمل) والمشركون (العامل) لقوله: ﴿بُرءُوا مِنْكُمْ﴾.
- ٢- البراءة من كل ما يُعبد من دون الله وهو راضٍ لقوله: ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من كل ما يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة كالأولياء، ويدخل في ذلك ما لا يُتصوّر منه الرضى كالكوكب والأصنام وغيرهم^(١)، وتكون البراءة بثلاثة أمور وهي:

١- البراءة بالقلب. ٢- البراءة باللسان. ٣- البراءة بالجوارح.

وقوله: «والطاغوت عام» أي: لأنه اسم لكل ما تجاوز به العبد حده وقدره الذي ينبغي له شرعا «فكل ما عبد من دون الله» أي: من حجر أو شجر أو ولي أو صالح «ورضى بالعبادة» أي: ورضي بعبادة الناس له فهو طاغوت، فخرج بهذا القيد من عبد من دون الله وهو غير راضٍ بتلك العبادة كالملائكة وعيسى وغيرهم من الصالحين.

وقوله: «من معبود» أي: سواء تعدى حده «مِنْ مَعْبُودٍ» مع الله بأي نوع من أنواع العبادة «أَوْ مَتَّبِعٍ» في معاصي الله «أَوْ مُطَاعٍ فِي غَيْر طاعة الله ورسوله» أي:

(١) فالبراءة مما يعبد من دون الله، فيها تفصيل:

- أ- إن كان المعبود راضيا بالعبادة فهذا يجب البراءة منه والكفر به لأنه طاغوت.
- ب- وأما إن كان المعبود غير راضٍ كعيسى والملائكة وغيرهم فلا يجوز البراءة منهم.

مطاع من دون الله في التحليل والتحرير «فهو طاغوت» ثم قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فإذا تأملت طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة. (١)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (١/٥٠).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى:

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

الشرح:

قوله: «وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ» أي: إذا عرفت ما حده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بتحقيق، تبين أن الطواغيت كثيرة جدا من بني آدم بلا حصر.

وقوله: «وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ» أي: أكبر الطواغيت بالاستقراء والتأمل خمسة وهي:

شرح الواجبات المتحتات العرفية

«الأول» وهو أخبثهم ورأسهم الأكبر «الشيطان» مأخوذ من شَطَن بمعنى بُعد، فهو معلون مطرود ومبعود من رحمة الله ورضوانه، وهو يطلق على كل متمرد عاتٍ من شياطين الإنس والجن، والمراد به هنا إبليس الخبيث «الداعي إلى عبادة غير الله» أي: الذي حثَّ ودعا بكل ما أُعطي من قوة إلى صرف العبادة لغير الله «والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: ألم آمركم وأوصيكم، على السنة رسلي ألا تطيعوا الشيطان؛ فإن طاعته عبادة له، وهو عدو واضح بيّن.

وقوله: «الثاني» أي: الثاني من رءوس الطواغيت «الحاكم الجائر» أي: الظالم «المغير» أي: المبدل «لأحكام الله تعالى» وهي الشرائع والأحكام المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: الشرع المبدل هو الكذب على الله ورسوله ﷺ، فمن قال: إِنَّ هَذَا مِنْ شَرْعِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ بِلَا نِزَاعٍ. وقال: والإنسان متى حلَّل الحرام -المُجمَع عليه- أو حرَّم الحلال -المُجمَع عليه- أو بدَّل الشرع -المُجمَع عليه- كان كافرًا مُرتدًّا باتِّفاق الفقهاء. (١)

(١) انظر: (مجموع الفتاوى) (٣/٢٦٨).

وقال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: من نَحَى الشريعة الإسلامية، وجعل القانون الوضعي بديلاً منها فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن وأصلح من الشريعة، وهذا لا شك أنه كفر أكبر يخرج من الملة ويناقض التوحيد.^(١)

وسئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فقل: ما حكم سن القوانين الوضعية؟ وهل يجوز العمل بها؟ وهل يكفر الحاكم بسنه هذه القوانين؟

فأجاب: إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس به مثل أن يسن قانوناً للطرق ينفع المسلمين وغير ذلك من الأشياء التي تنفع المسلمين وليس فيها مخالفة للشرع ولكن لتسهيل أمور المسلمين فلا بأس بها. أما القوانين التي تخالف الشرع فلا يجوز سنّها فإذا سن قانوناً يتضمن أنه لا حد على الزاني أو لا حد على السارق أو لا حد على شارب الخمر فهذا قانون باطل وإذا استحلّه الوالي كفر لكونه استحل ما يخالف النص والإجماع وهكذا كل من استحل ما حرم الله من المحرمات المجمع عليها فهو يكفر بذلك.^(٢)

وقوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فالله تعالى أنكر على من يدعي الإيمان

(١) انظر: (التوحيد) ص ٧١.

(٢) انظر: (مجموع الفتاوى) (١١٩ / ٧).

شرح الواجبات المتحتات العرفية

بما أنزله الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ والإرادة هنا ضابط مهم لكون فاعله كافرا كفرا أكبر، فهو يدل على اعتقاد القلب باستحلال ذلك، إذ لو كان صادقا في إيمانه لم يكن في قلبه إرادة وميل لغير شرع الله تعالى.

وفي هذه الآية أنكر الله زعمهم الإيمان وأكذبهم؛ لما في ضمن ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم؛ فإن [يزعمون] إنما يقال غالبا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب، يحققه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، فإذا اختل هذا الركن لم يكن موحدا، ومن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصح به الأعمال، وتفسد بفساده، كما في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله: «الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله» كمن يحكم بقوانين الجاهلية، والقوانين الدولية المخالفة لشرع الله، بل جميع من حكم بغير ما أنزل الله، سواء كان بالقوانين، أو بشيء مخترع وهو ليس من الشرع، أو بالجور في الحكم فهو طاغوت من أكبر الطواغيت.

والحكم بغير ما أنزل الله له حالتان:

الحال الأولى: يكون كفرا مخرجا من الملة في صور منها:

(١) إذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله.

(٢) إذا اعتقد أن حكم غير ما أنزل الله أحسن من حكم الله وأفضل.

(٣) إذا اعتقد أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله.

(٤) إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله لا يصلح في هذا الزمان الحاضر.

والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ﴾

أَحَدًا، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقال

تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم

الله أو أحسن، أو شيئاً مما تقدم، فهو كافر لأنه مكذب للقرآن.

الحال الثانية: يكون كفراً غير مخرج من الملة (كفر أصغر):

إذا لم يعتقد شيئاً مما سبق، بل يعتقد أنه يجب عليه الحكم بما أنزل الله، ولكنه عدل عن ذلك عصياناً (أي: أنه معترف بأنه يستحق العقوبة)، إما لهوى في نفسه، أو طمعا في مال أو رشوة، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، فهو فاسق مرتكب لكبيرة من الكبائر وتارك لكمال التوحيد الواجب-الذي يآثم تاركه-، وهو تحت المشيئة.

وضابط الحاليتين ما قاله العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وسر هذا أن الكفر قسمان: اعتقادي وعملي. فالاعتقادي مقره القلب.

والعملي محله الجوارح.

(١) فمن كان عمله كفرا لمخالفته للشرع، وكان مطابقا لما وقر في قلبه من الكفر به، فهو الكفر الاعتقادي، وهو الكفر الذي لا يغفره الله، ويخلد صاحبه في النار أبدا.

(٢) وأما إذا كان مخالفا لما وقر في قلبه، فهو مؤمن بحكم ربه، ولكنه يخالفه بعمله، فكفره كفر عملي فقط، وليس كفرا اعتقاديا، فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وعلى هذا النوع من الكفر تحمل الأحاديث التي فيها إطلاق الكفر على من فعل شيئا من المعاصي من المسلمين.

«والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله بأن حكم بغيره من القوانين والأحكام الباطلة مستحلا لذلك جاحدا لحكم الله تعالى راغبا عنه فهو كافر بالله الكفر الأكبر، وأما من حكم بغير ما أنزل الله غير مستحل ولا جاحد، بل هو مؤمن بحكم ربه، ولكنه يخالفه بعمله فهذا كفر دون كفر، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.^(١)

(١) صحيح:

أخرجه ابن جرير في تفسيره عند الآية وغيره من طرق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: هي به كفر، وليس كفرا بالله وملائكته وكتبه ورسله. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

شرح الواجبات المتحتات البعثة

وقوله: «الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله» أي: من يدعي علم المغييات أو شيئاً منها كالمنجمين والرمالين والسحرة والكهان ونحوهم، فهو طاغوت كافر؛ لما فيه من دعوى مشاركة الله في علم الغيب؛ ولأنه تكذيب للقرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقوله: «والدليل» أي: والدليل على أن الله تعالى قد استأثر بعلم الغيب وحده **«قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦١) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** فالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم ما غاب عن العباد، بل انفراد بعلم الضمائر والأسرار والغيب، إلا من ارتضى من رسول، فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، ومع ذلك يؤيدهم بحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيديا فيه أو ينقصوا.

«وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين.

وقوله: «الخامس: الذي يُعبد من دون الله» أي: مع الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة **«وهو راض بالعبادة»** أي: وهذا المعبود من دون

شرح الواجبات المتحتات العرفية

الله راضٍ بالعبادة المصروفة له، فهو طاغوت، وخرج بهذا القيد من عبد من دون الله وهو غير راضٍ بالعبادة كالملائكة والأنبياء والأولياء ونحوهم، فإنهم ليسوا راضين بذلك، بل يتبرءون منهم ومن عبادتهم لهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

وقوله: «والدليل» أي: والدليل على أن من عبد من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت كافر **«قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾** أي: ومن يقل من الملائكة -وحاشاهم من ذلك وإنما هذا على سبيل الفرض والتنزل- إني أستحق العبادة من دون الله فذلك نجزيه جهنم، وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية.

وقد ذكر المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي (ثلاثة الأصول وأدلتها)** من رءوس الطواغيت: **«وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ»** أي: ممن يقر الغلو كفرعون ومشايخ الضلال من الرافضة والصوفية الذين غرضهم الغلو في الأرض والفساد واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، وحكي عن بعضهم أنه قال: من كان له حاجة فليأتِ إلى قبري وليستغث بي.

قال المصنف رحمه الله:

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. الرشد دين محمد ﷺ، والغى دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الشرح:

قوله: «واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله» أي: أن الإنسان لا يكون مؤمناً موحداً لله بالعبادة، ولو عبد الله ليلاً ونهاراً «إلا بالكفر بالطاغوت» الذي تقدم بيانه؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن لوجود التوحيد، فإذا اختل هذا الركن لم يكن موحداً «والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد تمسك بالتوحيد وهو العروة الوثقى، أي: القوة التي لا تنفك ولا تنفصم، وهي معنى (لا إله إلا الله)، التي من تمسك بها وصل الجنة بكل حال.

شرح الواجبات المتحتات العرفية

وقوله: «الرشد دين محمد ﷺ» الرشد هو: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم. فدين محمد ﷺ هو الرشد وهو ضد الغي.

وقوله: «والغي» وهو الضلال «دين أبي جهل» وهو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي وكان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ.

وقوله: «والعروة الوثقى» هي: «شهادة أن لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله «وهي متضمنة للنفي» وهو قوله: (لا إله) أي: لا مألوه يستحق أن يعبد إلا الله، فإذا قلت: لا إله، كنت نافياً جميع ما يعبد دون ما سوى الله، وآلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله إنما هي مجرد ظن منهم وإتباع لهواهم، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]، وإنما الإله المستحق للعبادة هو الله وحده.

وقوله: «والإثبات» أي: والإثبات في كلمة الإخلاص قولك: (إلا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، ودالاتها على إثبات الإلهية لله وحده أعظم من دلالة قولنا: الله إله، فالله هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منفية بـ (لا) في هذه الكلمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] والقرآن كله يدل على إثبات العبادة لله وحده، فـ (لا إله إلا الله) اشتملت على أمرين هما ركنها: النفي، والإثبات، فـ (لا إله) نافياً وجود معبود بحق سوى الله، و (إلا الله) مثبتاً

العبادة لله وحده دون كل ما سواه، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات المحض، فلا بد الجمع بين النفي والإثبات، ف [لا إله] «تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى» و[إلا الله] «تثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له»؛ لأنه هو المستحق للعبادة دون من سواه.

وقوله: «والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» ختم المصنف رَحِمَهُ اللهُ رسالته بالحمد لله تعالى على نعمه-التي بها تتم الصالحات والخيرات-مشكلة لأهل الرضوان كما قال تعالى عنهم: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

نرمحمد

المحتويات

٧	مقدمة.....
١٢	الأصول الثلاثة.....
٢٢	أصل الدين وقاعدته.....
٢٧	شروط لا إله إلا الله.....
٣٥	أدلة شروط لا إله إلا الله.....
٥٠	نواقض الإسلام.....
٥٥	الناقض الأول: الشرك.....
٦٠	الناقض الثاني: الوسائط الشركية.....
٦٢	الناقض الثالث: عدم تكفير من كفره الله ورسوله ﷺ.....
٦٦	الناقض الرابع: اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه.....
٧٠	الناقض الخامس: كراهية شيء مما جاء به النبي ﷺ.....
٧٣	الناقض السادس:.....
٧٣	الاستهزاء بشيء من دين الإسلام.....
٧٨	الناقض السابع: السحر.....
٨٣	الناقض الثامن: معاونة المشركين على المسلمين.....

شرح الواجبات المحتثات بالعرف

الناقض التاسع: اعتقاد جواز الخروج عن شريعة محمد ﷺ	٨٧
الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله علماً وعملاً	٩١
خاتمة	٩٣
أنواع التوحيد	٩٧
النوع الأول: توحيد الربوبية	٩٩
النوع الثاني: توحيد الألوهية	١٠٤
النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات	١١٤
الشرك وأنواعه	١١٨
النوع الأول: الشرك الأكبر	١٢٠
أنواع الشرك الأكبر	١٢٣
النوع الثاني: الشرك الأصغر	١٣٣
النوع الثالث: الشرك الخفي	١٤٠
الكفر وأنواعه	١٤٣
النوع الأول: الكفر الأكبر	١٤٥
النوع الثاني: الكفر الأصغر	١٤٩
النفاق وأنواعه	١٥٢
النوع الثاني: النفاق العملي	١٥٧
الطاغوت	١٦٢
المحتويات	١٨١

